سلسلة الرسائل المكية (٤)

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

- المجموعة الثانية -

بقلم

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

(٢)

ⓒ دار الوطن للنشر، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشـــريـم، ســـعود بـن إبـراهـيم .
ومیض مـن الحـــرم .ـ الرياض .
٢٠٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٢- ٠٦٥ - ٢٨ - ٩٩٦٠ (ج٢)
١- الخطب الدينية　　　٢- الوعظ والإرشاد
أ- العنـــــوان
ديوي ٢١٥,١　　　١٧/٠٨٥٧

رقم الإيداع: ١٧/٠٨٥٧
ردمك: ٢- ٠٦٥ - ٢٨ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم إلى يوم الدين

أما بعد:

فهذه هي المجموعة الثانية من الخطب التي ألقيتها من على منبر المسجد الحرام، بدا لي أن أخرجها مطبوعة ليستفيد منها الخطيب والمستمع والقارئ، علها أن تكون من العلم النافع الذي لا ينقطع أثره بعد الممات.

وبما أنني سبق وأن وعدت في مقدمة المجموعة الأولى على أن أصدر المجموعة الثانية بالحلقة الثانية من «خواطر بين يدي الخطيب»؛ فها أنذا أنجز -بحمد الله- ما وعدت به لأضع خمسة عشر خاطراً في مقدمة هذه المجموعة وهي عبارة عن جهد المقل، وإفراز لمسائل كانت تدور بخلدي فترجمتها كتابيًا من خلال هذه المجموعة التي أسأل المولى جل وعلا أن يجعلها سببًا في المثوبة والعلم النافع والعمل الصالح إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل.

قاله مقيده

سعود بن إبراهيم الشريم

مكة ١ / ١ / ١٤١٧هـ

خواطر بين يدي الخطيب
« الحلقة الثانية »

هذه الخواطر ما هي إلا إشارات مختصرة لمسائل شرعية تخص الخطيب، ربما غفل عنها البعض؛ إما جهلاً منهم، أو تكاسلاً، أو ما علق بأذهان بعض الخطباء من أن الخطبة الشرعية هي ما اعتاده الناس في هذا الزمان دون النظر إلى أصل بعض المسائل المختصة بخطيب الجمعة؛ فلأجل ذا جمعت في هذه الحلقة خمسة عشر خاطرًا، أرى أن عرضها من الفوائد التي لا يستغني عنها الخطيب وإن كان بعضها من مسائل الاجتهاد القابلة للأخذ والرد بين أهل العلم.

كما لا يفوتني أن أنبه إلى أنه لا يلزم أن تكون هذه الخواطر راجحة عندي شرعًا بقدر ما أنني إنما أوردتها للفائدة أولاً وأخيرًا، وبالله التوفيق.

١ ـ اتخاذ العصا للخطيب:

جاء في ذكر العصا للخطيب روايات متعددة؛ منها: ما رواه الشافعي في الأم عن إبراهيم عن ليث بن أبي سلمة عن عطاء مرسلاً « أنه ﷺ كان يعتمد على عنزته اعتمادًا ».

قال الحافظ في التلخيص: وليث ضعيف.

ومنها: ما رواه أبو داود في سننه من حديث الحكم بن حزن الكلفي.. الحديث وفيه: « شهدنا الجمعة معه، فقام متوكئًا على عصى أو قوس... الحديث ».

قال الحافظ في التلخيص: إسناده حسن، وقد صححه ابن السكن وابن خزيمة، وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند أبي داود بلفظ:

«أن النبي ﷺ أعطي يوم العيد قوسًا فخطب عليه» .

قال الحافظ في التلخيص : وطوَّله أحمد ورواه الطبراني وصححه ابن السكن . اهـ .

قال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز في دروسه على بلوغ المرام في حديث الحكم بن حزن ما نصه : الحديث يدل على شرعية الاتكاء على عصا أو قوس في الخطبة ؛ لأن هذا من شأنه ﷺ ، ولعل السر في هذا - والله أعلم - أنه أجمع لليدين وأجمع للقلب من الحركة ، وأقرب إلى الإقبال على الخطبة .

وقال حفظه الله عن الحديث : إسناده حسن ، ورواه أحمد أيضًا ، وجاء في الباب آثار أخرى فيها مقال ولكنها تشهد لهذا المعنى . اهـ .

قلت : وما قاله الشيخ حفظه الله تعالى قاله الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله حيث قال ما نصه : فكونه معتمدًا على قوس أو عصا هو السنة . اهـ .

وقد اختار مشروعية العصا جمع من أهل العلم وبه قال الصنعاني في السبل ، والشوكاني في نيل الأوطار .

وذهب ابن القيم إلى خلاف ذلك حيث قال في زاد المعاد ما نصه : ولم يكن يأخذ بيده سيفًا ولا غيره ، وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر . . . إلخ . إلى أن قال : فإنه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره . اهـ .

قلت : ولا أدري ما هو الدليل على ما ذكره ابن القيم من التفريق بين ما كان قبل اتخاذ المنبر وبين ما كان بعده ، فربما اطلع على دليل لم أجده حسب البحث القاصر . والله أعلم .

وكان رحمه الله قد أشار في أول كتابه الزاد في فصل هديه ﷺ في الخطبة بما نصه: وكان إذا قام يخطب أخذ عصًا، فتوكأ عليها وهو على المنبر، كذا ذكره عنه أبو داود عن ابن شهاب، وكان الخلفاء الثلاثة بعده يفعلون ذلك. اهـ.

ولم يفصل رحمه الله، كما فصل في الموضع السابق ذكره، والتفصيل متأخر عن كلامه في أول كتابه فيكون هو المعتمد عنده، ويحتمل أن يكون كلامه رحمه الله هناك هو المعتمد على أنه لا فرق بين قبل اتخاذه المنبر أو بعد اتخاذه المنبر بدليل استمرار فعل الخلفاء الثلاثة من بعده. قلت: وقد قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في دروسه على زاد المستقنع: إنه إذا احتاج: العصى فإنه يشرع له ذلك وإن لم يحتج إليها فلا. والله أعلم.

٢ ـ استحباب قول: [أما بعد] في الخطبة:

ذهب جماعة من المحققين إلى استحباب قول الخطيب بعد الحمد والثناء: « أما بعد» ؛ وذلك تأسيًا بالنبي ﷺ وقد أشار إلى ذلك ابن القيم، وبه قال النووي والحافظ ابن حجر والصنعاني والشوكاني وجماعة، وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا في استحبابه فقال: باب من قال في الخطبة بعد الثناء: «أما بعد». وذكر فيه جملة من الأحاديث. قال الصنعاني في السبل: وظاهره أنه ﷺ كان يلازمها في جميع خطبه. اهـ.

قال سيبويه: «أما بعد» معناها مهما يكن من شيء بعد. وقال أبو إسحاق الزجاج: إذا كان الرجل في حديث فأراد أن يأتي بغيره قال: أما بعد. وهو مبني على الضم؛ لأنه من الظروف المقطوعة عن الإضافة.

قلت: وقد اختار ابن مالك ما ذهب إليه سيبويه فقال في الخلاصة:

أما كمهما يكن من شيء وفا لتلو تلوها وجوبًا ألفا

وقد اختلف أهل العلم في أول من قالها فقيل: داود عليه السلام، فيما رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري، وفي إسناده ضعف؛ كما قال الحافظ في الفتح.

وقيل: إنه يعقوب عليه السلام، رواه الدارقطني بسند رواه في غرائب مالك كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر. وقيل غير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والأول أشبه. اهـ. يعني داود عليه السلام، وعلى هذا جماعة من المفسرين.

٣ ـ افتتاح الخطب:

سار جماعة من الخطباء على صيغة يُنكرها كثير من الفقهاء المحققين، ألا وهي افتتاح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير.

وقد رد ابن القيم رحمه الله في الزاد على من فعل مثل ذلك بقوله: وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله. وأما قول كثير من الفقهاء: إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير؛ فليس معهم فيه سنة عن النبي ﷺ البتة، وسنته تقتضي خلافه وهو افتتاح جميع الخطب بـ« الحمد لله » وهو أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب أحمد، وهو اختيار شيخنا قدس الله سره. اهـ.

وقال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في درسه على بلوغ المرام ما نصه: أما ما يروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مرسلاً « أنه بدأ الخطبة بالتكبير تسع تكبيرات » فليس في الأحاديث الصحيحة ما يدل عليه بل هو مرسل. والأفضل البدء بالحمد لفعل النبي ﷺ . اهـ.

قلت: وهو اختيار العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية. ولكن يشرع الإكثار من التكبير في خطبتي العيدين لما روى ابن ماجه في سننه عن سعد « أنه ﷺ كان يكثر التكبير أضعاف الخطبة، ويكثر التكبير في

خطبتي العيدين» ، قال ابن القيم في الزاد : وصوبه شيخ الإسلام . اهـ .

٤ ـ السنة القبلية للخطيب وغيره:

اختلف أهل العلم هل للجمعة سنة قبلية أم لا؟ على قولين : أصحهما : وهو الذي دلت عليه السنة ، أنه لا سنة لها قبلها ، وهذا هو مذهب مالك وأحمد في المشهور عنه ، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي ؛ لأن النبي ﷺ كان يخرج من بيته فإذا رقي المنبر أخذ بلال في الأذان .

قال ابن القيم : ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال رضي الله عنه من الأذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسنة . اهـ .

قلت : وقد احتج بعض أهل العلم على سنية ركعتين قبل الجمعة للخطيب وغيره بما ذكره البخاري في صحيحه فقال : باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها . ثم ساق بسنده عن ابن عمر « أن النبي ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين ، وبعدها ركعتين ، وبعد المغرب ركعتين في بيته ، وقبل العشاء ركعتين ، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين» .

قال ابن القيم : لم يقع ذكر الصلاة قبل الجمعة في هذا الحديث ؛ فلعل البخاري أراد إثباتها قياسًا على الظهر . اهـ .

وقال أيضًا عن حديث ابن عمر : وهذا لا حجة فيه ، ولم يرد البخاري إثبات السنة قبل الجمعة ، وإنما مراده أنه هل ورد في الصلاة قبلها أو بعدها شيء؟ ثم ذكر هذا الحديث . أي إنه لم يرو عنه فعل السنة إلا بعدها ولم يرد قبلها شيء . اهـ .

قلت : ومن الناس كالنووي وغيره من احتج بما رواه أبو داود وابن حبان عن نافع قال : « كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ، وحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك» .

وقد أجيب عن هذا بأن قوله : إن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك : أي أنه كان يصلي الركعتين بعد الجمعة في بيته لا في المسجد . ولم يرد أن صلاته قبل الجمعة كانت من فعل النبي ﷺ .

قال ابن القيم: وأما إطالة ابن عمر الصلاة قبل الجمعة فإنه تطوع مطلق وهذا هو الأولى لمن جاء إلى الجمعة أن يشتغل بالصلاة حتى يخرج الإمام؛ قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ : « **من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى المسجد فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام** » [رواه مسلم].

قال الحافظ ابن حجر: ورد في سنة الجمعة التي قبلها أحاديث أخرى ضعيفة.

٥ ـ السنة البعدية للخطيب وغيره، وكم عددها وأين تصلى:

روى الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات**».

وروى الجماعة أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته» .

وروى أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما « أنه كان إذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعًا، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فصلى ركعتين، ولم يصل في المسجد، فقيل له في ذلك، فقال: كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك» .

قال العراقي: إسناده صحيح . اهـ . وقد سكت عنه أبو داود والمنذري كما حكى ذلك الشوكاني في نيل الأوطار .

قلت : هذه الأحاديث الثلاثة نتج عنها أقوال ثلاثة في السنة البعدية للجمعة :

* فقال قوم: إن سنة الجمعة البعدية أربع ركعات منفصلة ، وممن قال بذلك : ابن مسعود والنخعي وأصحاب الرأي ، وكذا الشافعي ومالك وأحمد ، واستدلوا بحديث أبي هريرة السابق .

* وقال آخرون : إن سنة الجمعة البعدية ركعتان ، وممن قال بذلك : الشافعي وأحمد ، كما حكاه عنهما الترمذي وفعله عمران بن حصين .

قلت : ولكن رد العراقي على قول الترمذي بأن الشافعي وأحمد لم يريدا بذلك إلا بيان أقل ما يستحب ، وإلا فقد استحبا أكثر من ذلك . اهـ .

ومن قال بهذا القول استدلوا بما رواه الجماعة عن ابن عمر كما سبق ذكره .

* وقال جماعة : إن السنة البعدية للجمعة ست ركعات منفصلة ، ودليلهم حديث ابن عمر السابق عند أبي داود . وممن قال بذلك : علي وأبو موسى رضي الله عنهما ، وعطاء ومجاهد وحميد بن عبد الرحمن والثوري ، ونقله ابن قدامة رواية عن أحمد أنه قال : وإن شاء صلى ستًا .

ونقل ابن قاسم في حاشيته على الروض عن شيخ الإسلام ما نصه : وقال الشيخ وغيره : أدنى الكمال ست . اهـ .

مما سبق يفهم أن الجميع سنة ، ولكن بعضه أكمل من بعض ، إلا أن حديث ابن عمر في الست ركعات قد أجاب عنه الحافظ العراقي بقوله : فليس في ذلك علم ولا ظن أنه ﷺ كان يفعل بمكة ذلك ، وإنما أراد رفع فعله بالمدينة فحسب ؛ لأنه لم يصح أنه صلى الجمعة بمكة ، وعلى تقدير وقوعه بمكة منه فليس ذلك في أكثر الأوقات بل نادرًا . اهـ .

قلت : وقول العراقي له وجه قوي من النظر .

وأكثر الخلاف دائر على الأربع والثنتين؛ إذ فيهما القولان، وقد جمع بعض أهل العلم بين القولين : على أن الأربع إذا صلاها في المسجد، والثنتين إذا صلاها في بيته. جمعًا بين الروايات. وممن أفتى بذلك شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم حيث قال في الهدي: قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية: إن صلى في المسجد صلى أربعًا، وإذا صلى في بيته صلى ركعتين. قلت: وعلى هذا تدل الأحاديث ، وقد ذكر أبو داود عن ابن عمر أنه كان إذا صلى في المسجد صلى أربعًا، وإذا صلى في بيته صلى ركعتين. اهـ.

قلت: ذكر محقق الهدي أن إسناده قوي.

وقد اختار سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في دروسه على بلوغ المرام ما نصه: إن أقلها اثنتان وأكثرها أربع ،ولا فرق بين أن يصليها في البيت أو في المسجد، وهذا القول أظهر؛ لأن القول مقدم على الفعل، ولأنه يحتمل أن يكون فعله للتخفيف، أو أن هذا قبل أن يأمر بالأربع؛ فالأولى والأظهر هو هذا القول جمعًا بين الأدلة . اهـ كلامه بتصرف يسير.

٦- رفع الصوت في الخطبة:

كتب بعض المؤلفين كتبًا صدروها بوصايا للخطباء كطريق للخطيب الناجح وقد أفلحوا في بعضها وأخطأوا في البعض الآخر؛ وهو كثير نظرًا لاعتمادهم على كتب غربية في وصف الخطيب الصيت الناجح، ولم يراعوا في ذلك ما كان من هديه ﷺ، فكان مما فيها، استنكار رفع الصوت في الخطبة أو الانفعال فيها وأن ذلك تشنج يثير المستمعين ويذهب بجمال الخطبة وحيويتها.

ولاشك أن هذا خطأ واضح لم يكن لقائله نصيب من سنة المصطفى ﷺ وهديه في خطبته؛ حيث إنه ثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم « أنه كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: « صبحكم ومساكم ...»» الحديث.

وفي لفظ عند مسلم: « يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته . . . » فذكره.

فيتبين لك أيها القارئ مما سبق ذكره، أن رفع الصوت والحماس في الخطبة كان من هديه ﷺ وهو من الأمور التي لها وقع في قلوب المستمعين، مع ملاحظة أن رفع الصوت وعلوه هنا لا يراد به الصراخ المفزع الذي يذهب بجمال الخطبة ووقعها في نفس المستمع، والله أعلم.

٧ ـ قراءة سورة « ق » وهل تقرأ في كل جمعة أم لا :

ثبت عند مسلم في صحيحه من حديث أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: « ما أخذت ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١]، إلا عن رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس » .

ولقد اتفق أهل العلم على مشروعية قراءة سورة « ق » على المنبر في خطبة الجمعة. بل ولقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث قالوا بمشروعيتها في كل جمعة، وممن ذهب إلى ذلك النووي والصنعاني وغيرهما.

قال النووي عن حديث أم هشام: وفيه استحباب قراءة « ق » أو بعضها في كل خطبة.

قلت: ووجه الدلالة على أن المراد عموم الجُمَع. أن لفظة « جمعة » نكرة في سياق الإثبات وهي لا تفيد العموم، ولكنها أفادت العموم في هذا الحديث بدخول لفظة « كل » عليها.

ولكني أقول: إن هذا الحديث هو من العام المخصوص؛ بدليل أنه ثبت عنه ﷺ أنه خطب خطبًا كثيرة ليس فيها ذكر سورة « ق » .

فقد روى أحمد وابن ماجه بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة «تبارك ، وهو قائم. . . » الحديث.

وروى أبو داود في سننه عن أبي سعيد قال: « قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ﴿صٓ﴾، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه» قال العراقي: وإسناده صحيح. اهـ نقل ذلك الشوكاني في نيل الأوطار.

وقال الشوكاني بعد ذكر أحاديث كثيرة لا تخلو من مقال في قراءة سورة من القرآن على المنبر ما نصه: والظاهر من أحاديث الباب أن النبي ﷺ كان لا يلازم قراءة سورة أو آية مخصوصة في الخطبة، بل كان يقرأ مرة هذه السورة ومرة هذه، ومرة هذه الآية ومرة هذه. اهـ. والله أعلم.

٨ ـ لفظة ـ سيدنا محمد ـ في الخطبة:

اعتاد بعض الخطباء الإكثار من لفظ: اللهم صلِّ على سيدنا محمد. والحاصل أن لفظة ـ سيدنا ـ لم ترد في الصلاة عليه ﷺ. ولكن لو قال بعضهم: وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ لكان أخف من الأول؛ لأنه ليس من باب الصلاة عليه إنما هو من باب الشهادة والإخبار.

وهذا الأمر الثاني، يعترضه أمران:

الأمر الأول: جوازه على الإطلاق لقوله ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» [رواه مسلم].

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ قيل له: أنت سيدنا. فقال: « **السيد الله تبارك وتعالى**»[رواه أبو داود بسند جيد] وأقل أحوال هذه المسألة الجواز.

وقد سئل العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله، عن الإتيان بها في الصلاة عليه ﷺ فقال ما خلاصته: لا يخفى أن الاقتصار على ما ورد في الأحاديث وما جاء عن سلف هذه الأمة وأئمتها أولى وأفضل وأكمل، لا سيما إذا كان ذلك في نفس الصلاة، فلا ينبغي أن يأتي في الصلاة بألفاظ غير ما ورد. فإن كان خارج الصلاة فهو أيسر، وتركه

أولى على كل حال. ثم قال رحمه الله : **ومن قالها فلا ينهى عنها نهيًا مطلقًا، بل يرغب بما هو الأفضل. . . إلخ**. اهـ، والله أعلم.

٩ ـ الأركان الأربعة في الخطبة:

سئل العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله عن حكم اشتراط الأركان الأربعة في كل من الخطبتين؛ (ويقصد بالأركان الأربعة : الأول: الحمد والثناء على الله. الثاني: الصلاة على رسول الله ﷺ. الثالث: الوصية بتقوى الله. الرابع: قراءة آية من القرآن).

فأجاب الشيخ رحمه الله: اشتراط الفقهاء الأركان الأربعة في كل من الخطبتين فيه نظر، وإذا أتى في كل خطبة بما يحصل به المقصود من الخطبة الواعظة الملينة للقلوب فقد أتى بالخطبة، ولكن لا شك أن حمد الله، والصلاة على رسول الله ﷺ ، وقراءة شيء من القرآن ؛من مكملات الخطبة وهي زينة لها. اهـ.

قلت: اعلم أن من قال بالأركان الأربعة هم الشافعية والحنابلة. ومن لم يقل بها هم الحنفية والمالكية. والعلم عند الله تعالى.

١٠ ـ الجمع بين الجمعة والعصر للمطر:

الأصل في هذه المسألة هو الخلاف في الجمع بين الصلاتين لعذر المطر، وحاصل الأقوال في ذلك هو عدم جواز الجمع بين الصلاتين مطلقًا إلا يوم عرفة عند الحنفية.

وعند المالكية يجوز التقديم في المطر لمن يصلي المغرب والعشاء دون غيرهما كالظهر والعصر.

وعند الشافعية جواز الجمع بين الصلاتين؛ سواء بين الظهر والعصر أو

المغرب والعشاء.

وعند الحنابلة روايتان: إحداهما: لا يجوز إلا بين المغرب والعشاء، وحكى ابن قدامة أن أحمد سئل عن الجمع بين الظهر والعصر في المطر، قال: لا، ما سمعت.

وذكر صاحب الإفصاح أنه يجوز الجمع بين الظهر والعصر للمطر وذكر أنها رواية عن أحمد، وقال: إنها هي المذهب.

قلت: وبالنظر إلى علة الجمع وهي رفع المشقة، فإنها دالة على وجودها في الظهر والعصر والمشقة تجلب التيسير، لا سيما وأن لهذه المسألة أصلاً وهو حديث ابن عباس في الصحيحين « صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعًا من غير خوف ولا سفر» قيل لابن عباس: لم فعل ذلك؟ قال: أراد ألا يحرج أمته. اهـ.

وصح في سنن أبي داود من حديث ابن عباس: « من غير خوف ولا مطر».

والعجيب من هذا: أن مالكًا رحمه الله قال بعد حديث ابن عباس: أرى ذلك في المطر. ومع ذلك فهو لا يرى الجمع للمطر إلا بين العشاءين فقط دون الظهرين. فتنبه.

وخلاصة المسألة: أن الصحيح فيها إن شاء الله تعالى، الذي دلت عليه النصوص، ودل عليه النظر: هو جواز الجمع بين الظهر والعصر للمطر؛ لأن تجويزنا الجمع بينهما بدون مطر ولا سفر ولا خوف كما في الحديث السابق يلزمنا أن نجيزها لواحد من هذه الأعذار. فما موجب التفريق بين الظهرين والعشاءين؟

أما حجة من قصرها على العشاءين بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ إلا

ذلك، فإن هذا لا يعني أن حديث ابن عباس لم يدل عليها.

قال شيخ الإسلام عن حديث ابن عباس السابق: وبهذا استدل أحمد على الجمع لهذه الأمور بطريق الأولى؛ فإن هذا الكلام يدل على أن الجمع لهذه الأمور أولى، وهذا من باب التنبيه بالفعل فإنه إذا جمع ليرفع الحرج الحاصل بدون الخوف والمطر والسفر، فالحرج الحاصل بهذه أولى أن يرفع، والجمع لها أولى من الجمع لغيرها.

بقي عندنا حكم الجمعة مع العصر للمطر، وقد جوز ذلك الشافعية كقولهم في الظهر، بخلاف الأئمة الثلاثة. والصواب إن شاء الله هو ما اختاره الشافعية لوجود العلة المقتضية للجمع. ولا يلزم من عدم ذكر الجمعة في حديث ابن عباس أنها غير داخلة، ولا يؤثر فيها على الصحيح خلاف أهل العلم في كونها ظهراً مقصورة أو هي صلاة مستقلة بذاتها، والمعنى العام للجمع بين الصلاتين هو وضع إحداهما في وقت الأخرى وهذا حاصل بالجمعة. ثم إن الذين لم يجوزوا الجمع بين الظهرين للمطر، نلزمهم بوجود المشقة في الظهرين كما هو الحاصل في العشاءين. وينتج عن هذا الإلزام، إلحاق الجمعة بهما في الحكم، والله أعلم.

١١ ـ القنوت للنوازل في الجمعة:

ثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ «كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب».

وثبت عند أحمد وأبي داود من حديث ابن عباس «قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعًا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء و الصبح».

فهل الجمعة تدخل في هذا أم لا ؟ الجواب أنه مبني على مسألة الجمعة هل هي ظهر مقصورة أو صلاة مستقلة بذاتها ؟

والأحاديث لم تشر إلى الجمعة، وقد لا يصح قياس هذه المسألة على مسألة الجمع بين الصلاتين؛ فالعلة موجودة في الظهر والجمعة ، ولكن الجمعة تفارق الظهر بكونها فيها خطبة والقنوت إنما هو دعاء .

فلعل الأظهر أنه يكتفى بالدعاء أثناء الخطبة لحصول المقصود. لكن هناك حديث رواه الطبراني في الأوسط عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان لا يصلي صلاة مكتوبة إلا قنت فيها . اهـ.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجاله موثوقون. قال ابن القيم في الزاد عن إسناد هذا الحديث ما نصه وهذا الإسناد وإن كان لا تقوم به حجة، فالحديث صحيح من جهة المعنى؛ لأن القنوت هو الدعاء، ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يصل صلاة مكتوبة إلا دعا فيها. اهـ.

قلت: إن ثبت حديث الطبراني هذا فهو حجة في جواز القنوت للنازلة في صلاة الجمعة لدخول الجمعة في كونها صلاة مكتوبة، إذا إن نص الحديث: «**لم يصل صلاة مكتوبة...الحديث**» والله أعلم.

١٢ ـ إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد:

ثبت عند ابن ماجه وغيره من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « **اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة، وإنا مجمعون**»

وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على ثلاثة أقوال ، والصحيح منها، وهو الذي اختاره جماعة من المحققين، وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله: أن من شهد العيد سقطت عنه الجمعة. وقال شيخ الإسلام: لكن على الإمام أن يقيم الجمعة ليشهدها من شاء شهودها ومن لم يشهد العيد.

١٣ ـ سلام الخطيب على المأمومين:

ا ستحب جمهور أهل العلم كابن عباس وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي وأحمد وغيرهم أن يسلِّم الخطيب على المأمومين إذا صعد المنبر.

وعند الشافعية يستحب له أن يسلم مرتين: الأولى: عند دخوله المسجد يسلِّم على من هناك، وعلى من عند المنبر إذا انتهى إليه. والثانية إذا وصل أعلا المنبر.

ومنع أبو حنيفة السلام وقال: يكره، وقال مالك: لا يسلِّم وأنكره.

قال أبو جعفر الطحاوي: لم يرو عن النبي ﷺ في ذلك شيء صحيح، وروي فيه أحاديث ضعاف، والقياس يمنع منه؛ لأنه إذا تقدم للإمامة لا يسلِّم، والمؤذن إذا أشرف على الناس لا يسلِّم؛ فكذلك إذا صعد على المنبر.

قلت: ومما روي في السلام على المنبر ما رواه البيهقي عن ابن عمر وجابر أن النبي ﷺ «كان إذا صعد المنبر يوم الجمعة قال: السلام عليكم». قال النووي في المجموع: وإسنادهما ليس بقوي. وضعفه ابن عدي وابن حبان، كما ذكر ذلك الحافظ في التلخيص.

ومن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن الشعبي قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس فقال: السلام عليكم... الحديث» قال الحافظ: وهو مرسل. وفي الباب عن عطاء مرسلاً.

وحاصل المسألة أنه تبين لك أنه لم يصح في ذلك شيء عن النبي ﷺ كما قال أبو جعفر، وعلى فرض الصحة؛ فإن الأحاديث منها ما جاء فيه ذكر السلام مبهمًا، ومنها ما فسر بقوله: «السلام عليكم»؛ دون

ورحمة الله وبركاته، فهل يقتصر على ما ورد، أو يؤخذ بالأكمل كما في الذي صح عنه ﷺ عند أبي داود والترمذي والنسائي من حديث عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ «عشر» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال: «ثلاثون».

وحاصل هذه المسألة أنه يظهر لي أن الأمر في ذلك واسع، وأنه وإن لم يرد بخصوص الجمعة شيء؛ فعموم الأحاديث الدالة على السلام على المسلمين تؤيد ذلك، والله أعلم.

١٤ ـ إقبال الخطيب بوجهه على المأمومين، وعدم التفاته يمينًا وشمالاً:

اعتاد بعض الخطباء على الالتفات يمينًا وشمالاً أثناء الخطبة، أو عند الصلاة على النبي ﷺ . وقد قال القاسمي في كتابه إصلاح المساجد: ولا أصل لذلك؛ بل السنة استقبال الناس بوجهه من أول الخطبة إلى آخرها.

ونقل النووي في المجموع عن صاحب الحاوي وغيره أن هذا الالتفات باطل لا أصل له، واتفق العلماء على كراهة هذا الالتفات، وهو معدود من البدع المنكرة. اهـ.

وإن كان أبو حنيفة يرى أنه يلتفت يمينًا وشمالاً في بعض الخطبة كما في الأذان؛ لكن قال النووي: هذا غريب لا أصل له. اهـ.

وقد ذكر ابن قدامة وغيره أن من سنن الخطبة أن يقصد الخطيب تلقاء وجهه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، ولأنه أبلغ في سماع الناس، وأعدل بينهم؛ فإنه لو التفت إلى أحد جانبيه لأعرض عن الجانب الآخر.

اهـ. والله أعلم.

١٥ ـ استحباب ذكر الخلفاء الراشدين في الخطبة:

جرت عادة أهل السنة من قديم الزمن على ذكر الخلفاء الأربعة في الخطبة، وظن بعض من لا علم عندهم أن هذا من الأمور المبتدعة، فوافقوا بذلك الشيعة الذين أنكروا ذكرهم وابتدعوا مكانها ذكر الأئمة الاثني عشرية.

وقد رد شيخ الإسلام هذا الزعم الباطل بما خلاصته:

الوجه الأول: أن ذكر الخلفاء على المنبر كان على عهد عمر بن عبد العزيز، بل روي أنه كان على عهد عمر بن الخطاب وحديث ضبة بن محصن رضي الله عنه من أشهر الأحاديث في قصة أبي موسى الأشعري الذي كان يدعو في خطبته لعمر بن الخطاب.

الوجه الثاني: أنه قد قيل إن عمر بن عبد العزيز ذكر الخلفاء الأربعة لما كان بعض بني أمية يسبون عليًا فعوَّض عن ذلك بذكر الخلفاء والترضي عنهم ليمحو تلك السنة الفاسدة.

الوجه الثالث: أن أهل السنة لا يقولون إن ذكر الخلفاء في الخطبة فرض، بل يقولون إن الاقتصار على عليٍّ وحده أو الأئمة الاثني عشر هو البدعة المنكرة، وإن كان ذكر عليٍّ لكونه أمير المؤمنين مستحب، فذكر الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدون أولى بالاستحباب.

الوجه الرابع: أن ذكر الخلفاء الراشدين على المنبر يوم الجمعة إنما هو تعويض عن سب من سبهم ويقدح فيهم؛ ليكون ذلك حفظًا للإسلام بإظهار موالاتهم والثناء عليهم، ومنعهم من يريد عوراتهم والطعن عليهم. اهـ.

* * *

التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فتقوى الله تعالى هي وصيته للأولين والآخرين ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها الناس:

من أجل التوحيد بني بيت الله العتيق، الذي رفع قواعده إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل عليهما السلام، وما برح هذا البيت العتيق، يطاول الزمان، وهو شامخ البنيان في منعة من الله وأمان، تتعاقب الأجيال على حجه، ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه، ففي جواره التوحيد، وفي رحابه الأمن والخير والبركة ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

لقد أرسل المصطفى ﷺ بنور ساطع وضياء لامع، أضاء به الطريق وأوضح به السبيل، طهر الله به جزيرة العرب من رجس الوثنية، وهيمنة الأصنام، وكان كبير الأصنام هبل، بأعلى مكة، وحوله ثلاثمائة وستون صنمًا، كلها من الحجارة، فطعن فيها المصطفى ﷺ بيده الشريفة، حين دخوله الكعبة يوم الفتح، وهو يردد قول الله: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]. وبعض المسلمين كان يردد يا عزى كفرانك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك.

وفي الحج أيها المسلمون، معان كبيرة من معاني التوحيد، تمثلت في منع

المشركين من دخول المسجد الحرام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة : ٢٨].

وبعث المصطفى ﷺ سنة تسع، من ينادي: «**ألا يطوف بالبيت عريان، وألا يحج بعد العام مشرك**» [متفق عليه].

وتمثل التوحيد في الحج، في رفع الأصوات بالتلبية ونفي الشريك عن الله « لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك » وبهذه التلبية، قضى المصطفى ﷺ على تلبية أهل الشرك، التي كانوا يرددونها إبان حجهم ويقولون: « لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك » تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

لقد تمثل التوحيد في الحج في ركعتي الطواف، حين يقرأ المسلم في أولاهما بـ «قل يأيها الكافرون»، وفي الأخرى بـ« قل هو الله أحد». كما تمثل التوحيد في الحج أيضًا، في خير الدعاء، وهو دعاء يوم عرفة حينما قال ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» [رواه الترمذي].

وتمثل التوحيد في الحج فيما شرعه الله من ذكره وحده، يوم العيد وأيام التشريق ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

أيها الناس: إن التوحيد الخالص، هو لباب الرسالات السماوية كلها، وهو عمود الإسلام، وشعاره الذي لاينفك عنه، وهو الحقيقة التي ينبغي أن نغار عليها، ونصونها من كل شائبة ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

والطاغوت : هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم ، من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ [النساء : ٦٠] . ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧]. ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١].

عباد الله: على كلمة التوحيد الجليلة ، بنى المصطفى ﷺ أمته ، وأقام دعوته وشيد صرحها ، وأنشأ جيلا يوحد الواحد الأحد ، ويبرأ من كل الشركاء المزعومين ، فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي الحادي الذي لا يمل نداؤه ، ولا يتلاشى صداه ، وعندما يرددها الموحد ، فهو يقصد أمرين عظيمين :

أولهما : إحقاق الحق وإبطال الباطل ؛ لأن معنى الكلمة ، لا معبود بحق إلا الله ، فكل ما خلا الله ، فهو باطل ، وما هو إلا وهم عقول مختلة ، أو خداع حواس معتلة .

وثانيهما : ضبط السلوك البشري ، داخل نطاق هذا التوحيد الخالص المنبثق من كلمة التوحيد ، المشروطة بشروط سبعة ، متمثلة في العلم بمعناها وهو أنه : لا معبود بحق إلا الله ، ومتمثلة كذلك ، في اليقين المنافي للشك ، والإخلاص المنافي للشرك ، والصدق المنافي للكذب ، والقبول المنافي للرد ، والانقياد المنافي للترك ، والمحبة المنافية للبغض ، وباجتماع ذلك ، تتوحد العبادة بكل صورها ، بحيث لا تكون إلا لله ، فلا استنصار إلا بالله ، ولا توكل إلا على الله ، ولا رغبة ولا رهبة ، ولا خوف ولا رجاء إلا بالله ومن الله ، ومن ثم ، يشعر الموحد من

أعماق قلبه، أن ما دون الله هباء، فلا تروعه سطوة ساط، ولا تخدعه ثروة غني، ويستحيل عنده أن يُغْلَب الله على أمره، أو أن يقطع شيء دونه، فالتعلق بغير الله عجز، والتطلع إلى سواه ضلال وحمق ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

ومن هنا، يظهر الفرق شاسعًا بين الموحد وبين المشرك، فالموحد عرف خالقه، فعبده حق عبادته، والمشرك مكفوف البصيرة، تائه عن ولي نعمته، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

أيها الناس: في القديم وفي الحديث، أولع بعض الناس بتعدد الآلهة وهي المعبودات، وتعدد الآلهة، خرافة هزيلة، لفظها الإسلام بقوة، ونبذها نبذ المسافر فضلة الأكال، وتتبع أوهام الناس فيها وهمًا وهمًا، فكشف الظلمة ودحض الشبهة، ولا عجب، فالتوحيد الخالص، شعار الإسلام الأول، في ميدان الاعتقاد والعمل، به عُرف ومن أجله حورب، وعليه دار جدل طويل بين أهل الحق وأهل الباطل ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤، ٥]. ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

إن التوحيد الخالص: هو أفضل طلبة، وأعظم رغبة، وأشرف نسبة، وأسمى رتبة، هو وسيلة كل نجاح، وشفيع كل فلاح، يُصَيِّرُ الحقير شريفًا، والوضيع غطريفًا، يطوّل القصير ويقدّم الأخير، ويُعْلي النازل، ويشهر الخامل، ما شيد ملك عتيد إلا على دعائمه، ولا زال إلا على طواسمه، ما عزت دولة إلا بانتشاره، ولا زالت إلا باندثاره.

وإن معظم الشرور والنكبات، التي أصابت أمة الإسلام، وأشد البلايا التي

حلت بها، كانت بسبب ضعف التوحيد في النفوس، وما تسلط من تسلط من الأعداء، وتعجرف من تعجرف، وغار من غار على حياض المسلمين، واستأصل شأفتهم، واستباح حرماتهم، وأيم نساءهم، ويتم أطفالهم، إلا بسبب ضعف التوحيد، وما هجم التتار على ديار الإسلام، وفعلوا بهم ما فعلوا، إلا بفقد التوحيد، بل لقد بلغ ضعف التوحيد في النفوس مبلغًا عظيمًا إبان الهجوم التتري لبلاد الإسلام، حتى لقد قال بعض المسلمين من الهلع والجزع: يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر، عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

أيها الناس: يعيش المسلمون في زمان، هرم خيره، شبابٌ شره، نائم رشاده، صاحٍ فساده، قليلٌ منصفه، كثير متعسفه، أفلت فيه شمس التوحيد ونجمه، ودجا فيه ظلام الشرك وظلمه؛ فتقدم متأخره، وتأخر متقدمه، تلاعبت بأهله الأهواء، ومزقت جماعتهم النحل والآراء، ركب كلٌّ منهم هواه، وكافح عما يحبه ويرضاه؛ فاتخذ بذلك إلهه هواه، قصَّر فئام من الناس مع التوحيد؛ فصادموا المنقول، وخالفوا المعقول، فاخر ضلاَّلُهم بما يبرزون من الضلال، ويبدعون من الزيغ، وصار الشجاع العاقل هو المجاهر بالغرائب والمصائب، والأديب الملهم هو الداعي إلى البدع المضلة، فعظم الويل، واتسع الخرق، واغتلم الداء، وأعوز الدواء.

هم قوم أزياؤهم أزياء الأناسي، وصورهم صور العقلاء، ونفوسهم نفوس العجماوات، وأخلاقهم أخلاق الطير، يتهافتون على الغفلة والحطة، تهافت الفراش على النبراس، ويأرزون إلى النقيصة، أروز الدود إلى الميتة، مع قرم وجعم، واحتدام وضرم، بهؤلاء وأمثالهم، ولدت أم الغباء، وعُقمَت أم الذكاء ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لقد ابتلي كثير من الناس بالجهل بالتوحيد؛ فانحازوا إلى أصحاب القبور، والتجأوا إليهم، وتضرعوا أمام أعتابهم، فقبلوها وتمسحوا بها، واستغاثوا بأهلها في الشدائد والكروب، بل لقد كثر مروجوها والداعون إليها، من قبوريين ومخرفين، الذين يخترعون حكايات سمجة عن القبور وأصحابها، وكرامات مختلقة، لا تمت إلى الصحة بنصيب، والذين ينشدون القصائد الطافحة بالاستغاثات والنداءات، التي لا تصلح إلا لفاطر الأرض والسموات، بل لقد طاف بعض الناس بالقبور كما يطاف بالكعبة المعظمة، وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة، حتى إنه لتجتمع في خزائن بعض المقبورين، أموال تعد بالملايين، ولقد أحسن القائل:

أحياؤنا لا يكرمون بدرهم   وبألف ألف يكرم الأموات

لقد قصر أناس مع التوحيد؛ فتقاذفتهم الأهواء، واستولت عليهم الفتن والأدواء، فمن مفتون بالتمائم والحروز، يعلقها عليه وعلى عياله، بدعوى أنها تدفع الشر، وتذهب بالعين، وتجلب الخير، والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقد رأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «**ما هذا؟ قال من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» رواه أحمد بسند لا بأس به.

ولأحمد أيضًا، عن النبي ﷺ أنه قال: « **من تعلق تميمة فلا أتم الله له** »

وفي رواية: « **من تعلق تميمة فقد أشرك** ».

وإن من المسلمين من قد افتتن بالمشعوذين، والدجاجلة الأفاكين، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، بدعوى أنهم يكاشفونهم بأمور الغيب، فيما يسمى مجالس تحضير الأرواح، أو قراءة الكف والفنجان، ليكاشفوا الناس على حد زعمهم، عما سيحدث في العالم، خلال يوم جديد، أو أسبوع سيُطل، أو شهر أوشك حلوله، أو عام مرتقب ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]. قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** » رواه الأربعة والحاكم.

وإن من الناس يا عباد الله، من هو مفتون بمستقبل الأبراج، فيمضي عاصب العينين، فاقد البصيرة، خلف قراء الأبراج، الذين يدعون السعادة كامنة، في أصحاب برج الجدي، والغنى مستقر في أصحاب برج العقرب، أما أصحاب برج الجوزاء فيا لتعاسة الحظ وخيبة الأمل، إلى غير ذلك، من سيل الأوهام الجارف، والخزعبلات المقيتة ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [الطور: ٣٨]، ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور: ٤١ - ٤٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهدَ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، واعلموا أن التوحيد هو حق الله على العبيد، وهو إفراد الله بالعبادة، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والتوحيد هو دين الرسل، من أولهم وهو نوح عليه السلام، إلى آخرهم وخاتمهم وهو محمد ﷺ، فمن أنكره، أو قصر في معرفته، فهو مزور كبير، ومبطل جريء.

فيا ويح من تعلق بغير الله أو عبد معه غيره ورضي به، مما هو تراب فوق تراب، يا ويحه ماذا دهاه؟

إن أسلافه الأماجد، لم يقنعوا بهذا العالم كله مطلبًا وغاية، حتى عقدوا من أسيافهم، وصالح أعمالهم درجات، يمتطون بها ثَبَجَ الهواء، ويشقون بها حواجز المادة الجافة؛ ليتصلوا بخالقهم ورازقهم. فما هذا المتعلق والرضا بالتراب؟!

لقد كان المشرك الدنس، يتلقى لا إله إلا الله، فتتمشى فيه، فتعقم جسمه ونفسه، وتطهرها من معاني الشهوة والفسوق، فيروح ويغدو، كأنه ملك في أثواب إنسان، فما المتعلق بغير الله ومساءلة الأطلال الفانية؟ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ

وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

لقد كان الموحد يتلو قول الله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ [الزمر: ٣٦]؛ فيحمل سيفه المثلم، ورمحه المحطم، فيسايف الأبطال المغاوير، فيقذف نفسه في غمرات الجهاد، يطعن ويضرب، وصدره يعي هذه الآية، فما المتعلق بغير الله، وخشية التراب؟

لقد كان الموحد يقرأ قول الله: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]. فتحول هذه الآية، بينه وبين الخلق جميعًا، وتسد عليه طريق الرغبة فيما عند العباد، فترى المصائب تمر به جميعًا، فلا يدل مخلوقًا على مكان ألمه، ولا يكشف لغير الله عن موضع علته، ولا تسمع منه أُذُنٌ مخلوقة، قولة (آه)، حتى لقد كان تسقط من أحدهم عصاه، فلا يقول لأحد: «ناولنيها». كيف لا، وقد بايعهم المصطفى ﷺ على ألا يسألوا الناس شيئًا كما في صحيح مسلم، فما هذا المتعلق بغير الله، ودعوة الأموات والشكوى إلى الرميم والعظام النخرة.

ويح من تعلق بغير الله أو رجا غيره! شرب المؤمنون صفوًا، وشرب هو كدرًا ودعوا هم ربًا واحدًا، ودعا هو ألف رب ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

رفع المؤمنون أبصارهم إلى رب السماء، ونكس هو طرفه إلى الثرى، وأين الثرى من السماء، وأين عابد الأموات من عابد الحي الذي لا يموت، ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

الحج والأمن

الخطبة الأولى

الحمد لله سبحانه، أنعم على العباد بدينه ودعوته، وأكرمهم بتوضيح الطريق إلى مرضاته ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

سبحانه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، يسبح له الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قائد المجاهدين، وإمام المتقين، قضى دهره لله عابدًا، وأفنى فيه مجاهدًا، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الأتقياء البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصكم بنعمة، وأزال عنكم نقمه، وتدارككم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، فإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس: الحج إلى بيت الله الحرام، هو ملتقى المسلمين الأكبر، ومثابتهم العظمى. وزمان الحج ومكانه، هو الموعد المضروب لاجتماع المؤمنين الوافدين من المشارق والمغارب، يذكرون الله، ويدحرون الشيطان، يجهرون فيه بالعج، ويتقربون إلى الله بالثج.

الحج حكم وعظات، ينهل المسلم منها حيث شاء، فمن حكمة التوحيد إلى حكمة الوحدة والأخوة، إلى حكمة التدبر والتفكر.

وفي الحج أيها المسلمون: تتجلى حكمة الأمن والأمان، من خلال النهج الذي شرعه الله في بيته الحرام، في إيجاد منطقة حرام، يلقى فيها السلاح، وتحقن فيها الدماء، ويجد كل أحد فيها مأواه ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

لقد أمن الناس في الحرم، على أرواحهم وممتلكاتهم وأعراضهم، أمنهم، حتى من القول البذيء، واللفظ الفاحش ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة: ١٩٧]. وأمن في الحرم، الطير والوحش وسائر الحيوانات، فلأجل التوحيد بني بيت الله، ولأجل الأمن حرم بيت الله.

فليقدر الحجاج لهذا البيت حرمته، وليحترموا قدسيته، وليقدروا نعمة الأمن، التي هي ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

روى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة عن مجاهد أنه قال: «كان لعبد الله ابن عمر فسطاطان: أحدهما في الحل، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يصلي، صلى في الفسطاط الذي في الحرم، وإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الذي في الحل».

وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «أقبل تُبَّع يريد الكعبة، حتى كان بكراع الغميم، فبعث الله عليه ريحًا لا يكاد القاعد منها يقوم، فإذا

قام سقط وصُرِع، فدعا تبع أحباره وقال لهم: ما هذا الذي بعث علي، قالوا تؤمننا، قال أؤمنكم، قالوا: فإنك تريد بيتًا منعه الله ممن أراده، قال: فما يُذهب هذا البلاء عني؟ قالوا: تتجرد في ثوبيك ثم تقول: « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك » ثم تدخل فتطوف، فلا تُهيِّج أحدًا من أهله، قال: فإن أنا أجمعت على هذا ذهب عني الريح، وذهب عني العذاب؟ قالوا: نعم، فتجرد لله تعالى ثم لبى فأدبرت الريح كقطع الليل المظلم» .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١ – ٥].

عباد الله: في ظل الأمن والأمان والإيمان، تحلو العبادة، ويصير النوم سباتًا، والطعام هنيئًا، والشراب مريئًا.

الأمن والأمان، عماد كل جهد تنموي، وهدف مرتقب لكل المجتمعات، فالمجتمع إذا آمن أمن، وإذا أمن نما، فأمن وإيمان ونماء، فلا أمن بلا إيمان، ولا نمو بغير ضمانات ضد الهدم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأظلم الظلم، هو الشرك بالله، فهو أم الكوارث وأبوها، وتكفير العلماء والولاة ظئر الفوضى، ولا غرو؛ إذ يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

إن حادث التفجير الجُمَاديِّ، حكاية لم تزين بخيال، ولم يزد فيها بخبر، إنما هي حكاية خبث الشيطان وألاعيبه بالأغرار من البشر، فَنّهَا حذقه، وأغواؤه، وأثرها غلظته وشره، ومعانيها بلاؤه ومحنته. ونعوذ بالله من همزات الشياطين ونعوذ به أن يحضرونا.

إن المزايدة على أمن هذه البلاد، أو التكفير لعلمائها وولاتها ودعاتها، مدعاة للسخرية والفوضى، المفرزين للمارسات الشاذة، المرفوضة بداهة، وغير المأذون بالقيام بها شرعًا، أو القبول لها تحت أيِّ مبرر كان.

بل هي من نسج الأعداء، وإن استعملوا في تنفيذها لهم أبناء الإسلام، وإغرارهم لزعزعة كيان الأمة، بإفساد دينها وسلب أمنها ومقدراتها.

وشباب أهل هذه البلاد، نهلوا تربية إسلامية غير معوجة، وأفكارهم وأطروحاتهم مبنية على ركائز العقيدة الصحيحة، وهم في ذلك ثمرة علمائها، وشعب حكامها.

وإن ما قام به أمثال هؤلاء إنما هو نشاز ممقوت، لا يمثل السواد الأعظم، الذي يعلم مسؤولياته تجاه دينه وعلمائه وولاته، والذين حرصوا ألا يكونوا أبواقًا ينفخ من خلالها المغرضون، ومطايا يمتطيها الحاقدون، ضد هذه البلاد وعقيدتها.

إن المرء المسلم، في فسحة من دينه، عن أن يزج بنفسه في مهاوي الرذيلة، ومزعزع الأمن ومخلخله، إنما هو في الدرجة الأولى، يزعزع أمن نفسه ووالديه وإخوانه، وزوجه وأبنائه، قبل أن يزعزع أمن غيره من الناس. فضلاً عن أن يكون بذلك، قد حسر عن رقبته لحد مرهف، تقيم ظباه أخدعي كل مائل شاذ، وهذا دواء الداء، من كل جاهل مأفون: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

إنه متى امتد شذوذ المرء ليشمل الآخرين، ويمس أمن أهله ومجتمعه، فإنه لا محالة يعرض نفسه لحتفه، بالغًا ما بلغ من العنفوان والشجاعة.

وكان يجير الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

وكان كعنز السوء قامت بظلفها ... إلى مدية تحت التراب تثيرها

أما يفكر مزعزع الأمن، في والده ووالدته، حينما تأخذهما الحسرات كل مأخذ وهما اللذان ربياه صغيرًا، أما يفكر مزعزع الأمن، في زوجه وأولاده الذين يخشى عليهم الضياع من بعده والأسى من فقده ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟

مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

أما يفكر مزعزع الأمن، كيف يحل عليه الضعف محل القوة، والهم من نفسه محل الفرح، والكدر مكان الصفاء، حيث لم يعد يؤنسه جليس، ولا يريحه حديث، يخاف من الهمس، ويجزع من اللمس، متلفت لا يصل، قد سئم ما كان يرغبه أيام عنفوانه وحرية نفسه. ولكن ما الحيلة إذا استفحل الداء، ولم يجد الدواء، وما العمل إذا تحول المرء إلى السعار والصيال. لقد أصبح تركه حرًا لا يزيده إلا ضراوة، ولا يزيد المجتمع به إلا شقاوة، ولا مكان للرحمة حينئذ لمثيري الفوضى ومهدري الحقوق، في كل أنواع الجرائم بلا استثناء. وترك كل مفسد كائنًا من كان، إنما هو فتح لأبواب العذاب على المجتمع كله، وإغراء بالظلم، وإسقاط للقيم، ومن لا يرحم لا يرحم.

عباد الله:

الرغبة في تكفير الناس، وانتقاص أقدارهم بلا مبرر شرعي، مرض نفسي بالغ الخبث، وفتنة عمياء لا لعًا لها، تجعل المصابين بها غرباء على مجتمعهم، أو عقبات أمامه، أو غبشاً في مرآته، ملتاثين بحجاب أغلف يغشى قلوبهم وعقولهم.

وإن الذي لا يحسن التنقيب في جنبات نفسه؛ لاكتشاف عللها، لا يصلح أن يكون عضواً فعالاً في المجتمع، فضلاً عن أن يكون مسؤولا أو مربيًا، والذي يحرص على اتهام الناس بالفسق والكفر، والإغفاء عن الجهود، مع شماتة في الأعراض إنما هو امرؤ مريض الفؤاد، سمج المزاج. ولكن لا يبلغ الأعداء من جاهل، ما يبلغ الجاهل من نفسه.

مزعزع الأمن، ومفسد الدين، ومكفر العلماء والولاة، إنما يهيلون التراب على تراث المسلمين كله، وهم بذلك، يقطعون شرايين الحياة عن الأجيال الحاضرة والآمال المرتقبة، وهم يخدمون بذلك، عن وعي أو غباء، الغارة الاستعمارية على دار الإسلام، من خلال عمل أخرق، يزيد السقم

علَّة، والطين بلَّة، ويطيح بالمسلمين، ويوصد أمامهم أبواب الحياة الآمنة.

من أجل ذلك كله، نهيب بالشباب المسلم، أن يكون يقظًا واعيًا، حذرًا أشد الحذر من الوقوع في متاهات الهوى، ومزالق الشيطان، في أي وجه كانت الجريمة.

والمواطن هو رجل الأمن، ورجل الأمن ما هو إلا مواطن صرف، ونهيب بالعلماء والموجهين، أن يضبطوا أمتهم بتوجيهاتهم وتربياتهم، فلا يعطوا العدو فرصة للوثوب من خلالها. وليحذر الجميع، ممن بسط لسانه أو يده فينا، ولا يقول كلمة أبدًا في أعدائنا. سبحان الله! ما أخرسه هنا، وما أنطقه هناك. فما أفلح من أفسد، وما فاز من خرج، ولا نجح من كفَّر «**وإن يد الله على الجماعة ومن شذ عنهم شذ في النار**» أخرجه الترمذي.

ويتعين على أهل الإسلام أن تكون مواقفهم حازمة في وجه كل من يستهدف عقيدتها وأمنها، لا فرق في ذلك بين شريف ووضيع، أو غني وفقير، أو صغير وكبير، بعيدًا عن جو العاطفة؛ لينتبه من غفل، ويصلح من ضل.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك الأمن في الأوطان، والأمن في الأموال والأنفس والأهلين، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

عباد الله. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، ﷺ وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله حجاج بيت الله، واعلموا أن يومكم هذا هو اليوم الثامن من ذي الحجة، يشرع فيه للحاج أن يحرم بالحج إن كان متمتعًا، ومن كان مفردًا أو قارنًا فهو باق على إحرامه من قبل.

ويستحب للحاج أن يتوجه في هذا اليوم إلى منًى قبل الزوال؛ فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، قصرًا من دون جمع، فإذا صلى الفجر وطلعت الشمس توجه إلى عرفة وهو يلبي أو يكبر، فإذا زالت الشمس صلى بها الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، بأذان وإقامتين، ثم يقف بها، وعرفة كلها موقف إلا بطن عرنة، فيكثر فيها من التهليل والتسبيح، ويوم عرفة يوم من مفاخر الإسلام، يوم الحشود الغفيرة، يوم البكاء والخشوع، يوم الخوف من الله، والرجاء لما عنده، والفرار إليه ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وينبغي للحاج في ذلك اليوم أن يكثر من التهليل بكلمة التوحيد فقد قال ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» رواه الترمذي.

يوم عرفة يوم العتق من النار، والعفو عن السيئات، والمغفرة للذنوب. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا**» رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد موثقون.

يقف مئات الألوف، بمئات اللغات في صعيد واحد، يدعون ربًا واحدًا، يتبعون نبيًا واحدًا، كل منهم يناجي ربه ومولاه بلغات مختلفة، لا تشغله لغة عن لغة، يسمع دعوة هذا، ويغفر زلة ذاك، ويرى دمعة هذا، ويسمع أنين ذاك، فسبحان محصيهم عددًا، وسبحان معطيهم بدًا!.

ولا يشرع الصعود على جبل عرفة؛ لأن النبي ﷺ لم يفعله ولم يفعله أصحابه من بعده، فإذا غربت الشمس، أفاض الحاج من عرفات إلى مزدلفة بسكينة ووقار، ثم يصلي بها المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا بأذان وإقامتين، ثم يبقى بها حتى طلوع الفجر، إلا الظعن والظعفة، فلهم أن ينصرفوا منها بعد منتصف الليل.

فإذا صلى الفجر بالمزدلفة وقف عند المشعر الحرام، والمزدلفة كلها موقف، فيدعو الله طويلا حتى يسفر، ثم يسير إلى منىً فيرمي جمرة العقبة، وهي أقرب الجمرات إلى مكة، يرميها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ثم ينحر هديه إن كان متمتعًا أو قارنًا، ثم يحلق ويحل من إحرامه فيباح له كل شيء حرم عليه حال الإحرام إلا النساء.

ويبقى في حق القارن والمفرد طواف الإفاضة وسعي الحج إن لم يكن سعى مع طواف القدوم. وأما المتمتع ففي حقه طواف وسعي.

وبعد الطواف يحل للحاج كل شيء حتى النساء. ولا يضر الحاج ما قدم أو أخر، من أفعال يوم النحر لأن رسول الله ﷺ ما سئل عن شيء قدم أو أخر في ذلك اليوم إلا قال: « **افعل ولا حرج** » متفق عليه. ثم يبيت الحاج بمنىً أيام التشريق وجوبًا، لفعل النبي ﷺ ولقول: « **خذوا عني مناسككم** » متفق عليه، فيرمي الجمرات، في اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر إن لم يتعجل، كل جمرة بسبع حصيات، يبدأ بالجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم

الكبرى . ولا يرم إلا بعد الزوال وجوبًا .

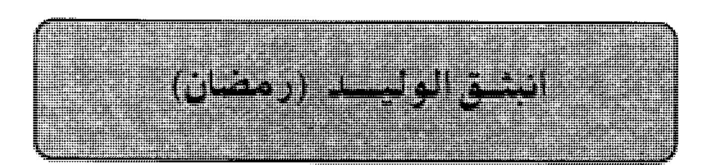
ومن أراد أن يتعجل فليرم بعد الزوال من يوم الثاني عشر ، ثم يخرج من منىً إلى مكة ، فيطوف طواف الوداع . ومن السنة أن يعجل المرء إلى أهله عند انقضاء حاجته لقوله ﷺ : « **فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله** » متفق عليه .

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

تقبل الله من الحجاج حجهم ، وغفر لهم ذنوبهم ، ووفق كل من ساهم في تيسير ذلك ، وشكر الجهود وبارك فيها ، وكتب الأجر والمثوبة للعاكف فيه والباد .

هذا ، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *



الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان من أفضل شهور العام، منَّ علينا بإدراك شهر الصيام والقيام، فضل أيامه على سائر الأيام، وعمر نهاره بالصيام، ونور ليله بالقيام.

أحمده وأشكره على الإحسان والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ تفرد بالكمال والتمام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من صلى وصام، وأتقى من تهجد وقام، صلى الله عليه وعلى أصحابه، صلاة دائمة تتعاقب بتعاقب الضياء والظلام، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس، إن عظم رمضان وجماله، وبهاء الشهر العظيم وروعته، بدا ظاهراً جليًا فيما يلتزمه المسلمون في شهرهم هذا من مظاهر الطاعة في كل اتجاهاتها، طاعة فيها كل معاني السمو الروحي، التي تكبح جماح النفس عن

نزواتها، وتحد من هفواتها وشطحاتها. تتغلب فيه الروح على البدن والجسد، وتكون النفس المؤمنة، أكثر استعداداً لقبول نفحات خالقها جل وعلا.

عباد الله: قبل ليال، انبثق في كبد السماء، هلال رمضان الوليد، انبثق ذلك الوليد؛ ليعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، أن خالقهم قد آذنهم بشهر، له في مجتمعهم تأثير، وفي نفوسهم تأديب، وفي مشاعرهم إيقاظ، وكأنه لهم موسم ربيع، انبثق ذلك الوليد!! بعد أن ظلوا أحد عشر شهراً، وهم سائرون في مسالك الحياة، ينالون منها، وتنال منهم. انبثق ذلك الوليد، فتساءل الناس في دهشة وذهول، ما أسرع ما عادت الأيام، ورجعت الذكريات.

إن الزمن، يجري بسرعة عجيبة، فهو دائب الحركة ليلاً ونهاراً، يتساءل الناس من كان بلغ العشرين من عمره، أو الثلاثين، أو أكثر أو أقل يتساءل عن تلك الأيام التي عاشها، والليالي التي قضاها، فلا ينفك، يراها ماضياً تركه خلفه، لن يعود له مرة أخرى.

يشعر الناس جميعاً بذلك صغيرهم وكبيرهم لاسيما عند لقاء ربهم حفاة عراة غرلاً ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣].

على هذه البسيطة، يشب الطفل، ويشيخ الشاب، ومع ذلك ينظر المرء إلى عمره، فلا يجد إلا ماضياً لا يدري ما أوله وآخره، ولكن المرء الذي لا يدري ما كان، يجب أن يعلم، أن الله سجل عليه كل ما كان ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

أيها المسلمون: تعارف كثير من الناس، على أن يتخذوا من رمضان، شهراً للتراخي والكسل، والتخفف من الجد في العمل، مع أن رمضان في

تاريخ الإسلام، شهر جد واجتهاد، بل هو شهر بطولات وأمجاد؛ بطولات وأمجاد، بكل ألوانها وأنماطها، بطولة الصراع في الميدان، بين الكفر والإسلام، وبطولة اليقين والإيمان، وبطولة التأبي على الشهوات، وبطولة الترفع عن خسيس الملذات. ولرمضان من كل هذه البطولات، حظه الوافر، في الماضي والحاضر، من تاريخ الأمة الإسلامية.

رمضان، شهر مبارك يلمح فيه المسلم عدة خصال، فهو شهر القرآن إنزالاً ومدارسة، شهر القرآن يوم يلقى جبريل عليه السلام، رسول الله ﷺ فيدارسه القرآن، شهر القرآن، وما أدراك ما شهر القرآن، إن الإنسان بلا قرآن، كالحياة بلا ماء ولا هواء، بل إن الإفلاس، متحقق في حسه ونفسه، ذلك أن القرآن، هو الدواء والشفاء ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

شفاء القلوب وشفاء الأبدان، فكلما ضاقت أمام المرء مسالك الحياة وشعابها، وافتقد الرائد عند الحيرة، والنور عند الظلمة، وجد القرآن خير جليس، لا يمل حديثه، وترداده يزداد به تجملاً وبهاءً، وجد في القرآن الملجأ والمعتصم ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

كان بعض السلف، يختم في رمضان، في كل ثلاث ليال، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر. وكان للشافعي رحمه الله، ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وكذا عن أبي حنيفة رحمه الله، وكان مالك رحمه الله، إذا دخل رمضان، أقبل على تلاوة القرآن، وترك قراءة الحديث، وإنما ورد النهي عن النبي ﷺ عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر

رمضان، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، وهذا قول الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وغيرهما من الأئمة.

هذا الشهر المبارك، شهر القرآن، يشد الناس إلى الدين، يذكرهم بحق الله، تشم رائحة الدين في كل مجلس تجلس فيه، يحس بإقبال الناس على كتاب الله، يقرؤونه، ويسمعونه، ويتدبرون آياته، إنه يرفع في نفوس الناس درجة الاستعداد، لتغيير ما في النفس، حتى يغير الله ما بهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

يشعرهم القرآن بضرورة هذا الدين لهم، كضرورة الماء والهواء، وإن كل أمة تهمل أمر دينها وتعطل كلمة الله في مجتمعها، فإنما تهمل أعظم طاقاتها، وتعطل أسباب فلاحها في الدنيا والآخرة، وكل أمة يُفْقد التدين في مجتمعها، تضطرب أمورها، ويموج بعضها في بعض، ويقلب الله عزها ذلاً، وأمنها خوفاً، وإحكامها فوضى.

وشهر رمضان: شهر الجود وسعة العطاء: ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل، أجود بالخير من الريح المرسلة»

فرسول الله ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم.

ومن هنا نعلم أن هذا الشهر المبارك، عونٌ للمسلم على الجود، فسكون النفس، وخفتها في المأكل والمشرب، وكثرة المدارسة للقرآن، الذي يحث على المكارم والجود، كل ذلك له تأثير في الواقع.

فالجمع بين الصيام والصدقة، موجب من موجبات الجنة قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غرفًا، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**» قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه.

فيا أيها الأغنياء في كل قطر، ويا أيها الأثرياء في كل مصر، إن كان الله تعالى، قد تفضل عليكم ورزقكم من الطيبات، وأغناكم عن الحاجة، وصان وجوهكم عن مذلة السؤال، فقد وجب عليكم أن تشكروه على ما منحكم ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]. اتقوا الله في البؤساء، الذين أصابتهم الشدائد، والفقراء المحتاجين، من أرباب العيال.

فمن القسوة، أن تمنعوا المعونة، وتقبضوا أيديكم شحًا وبخلاً، أمن الرحمة أن تكونوا في رغد من العيش، وسعة من الرزق، ومن أبقت عليهم صروف الحياة، في شدة من الضيق، وألم من الإعسار؟ أمن المروءة أن تتمتعوا بملابس الزينة، وأخوكم المسلم، يحرقه حر الصيف، ويقرصه برد الشتاء.

إن الغني الذي لا يحس بأن عليه للفقراء حقوقًا وواجبات، لقاسي القلب، خال من الشفقة، بعيد من رحمة الله ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]. «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

إن من الأغنياء، من لا يئن لمتألم، ولا يتوجع لمستصرخ، ولا يحن

لبائس، تجرد من العاطفة وحنان الإخاء، يقع أمامه من الحوادث، ما يؤلم القلب ويدمي العين، فلا يتأثر ولا يلين، بل تجده كالصخرة الصماء، وما علم أولئك، أن مالك الملك، وخالق الخلق، قادر على أن ينزع عن الغني لباس الغنى، ويعطي البائس الفقير ما يرضيه من متاع الحياة ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فاتقوا الله أيها الأغنياء، واصنعوا المعروف في أهله ما استطعتم، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، واعلموا أن ما يضيعه البعض منكم في الكماليات لكثير، ولقد ينفق في لحظة قصيرة ما يكفي البائس الفقير زمناً طويلاً، فأدخلوا السرور على المساكين بالبر والإحسان، لعل الله أن يرحم الجميع، ويكشف ما بهم من ضيق وشدة، وذل وبلاء.

عباد الله:

كما أن شهر رمضان، شهر جود وإنفاق، فهو كذلك شهر قيام لله تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ١ - ٦].

وناشئة الليل هي أوقاته وساعاته. والمقصود، أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد أمر أبي بن كعب، وتميماً الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارىء يقرأ بالمائتين في

ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر، وهذا كله عن رغبة منهم، وحرص وعزيمة.

ومن أم قومًا يستثقلون الإطالة، فليخفف القراءة على ما يحتمله الناس. فقد قال أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه، وكان يصلي بهم في رمضان: «هؤلاء قوم ضعفى، اقرأ خمسًا، وستًا، وسبعًا» يعني من الآيات.

قال رسول الله ﷺ: **«من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»** والمعنى: يكتب له قنطار من الأجر. رواه أبو داود بإسناد حسن.

أيها المسلمون: هذا شهر رمضان: أتى ليكون فترة تأديبية تهذيبية، تعلم المرء كيف يهدأ، وكيف يخفف من جماح رغباته، وإسراف شهواته، فها هي المفطرات تكون من حوله، وليس عليه من رقيب أو حسيب، سوى خالقه ومولاه، المطلع على الضمائر والسرائر، قال رسول الله ﷺ: **«قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له كفارة والصوم لي وأنا أجزي به»** رواه البخاري.

فاتقوا الله أيها المسلمون: وأروا الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك، فإن لله نفحات، من حرمها حرم خيرًا كثيرًا.

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مربحًا ومغنمًا، وأوقات البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقًا وسلمًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون: واعلموا كما أن لشهر رمضان حوافز ومرغبات، فإن هناك مزعجات ومنغصات، بدت جلية ظاهرة، سببها قصور بعض الناس، الذين يستثقلون هذا الشهر المبارك، ويستعظمون مشقته، فهو كالضيف الثقيل عندهم، يرتقبون خروجه بفارغ الصبر، ويتطلعون إلى انقضائه مشرئبين، اعتادوا على التوسع في الملذات والشهوات من المآكل والمشارب، يأكلون الأرطال، ويشربون الأسطال، وينامون النهار ولو طال، أغرقهم طوفان السعار المادي، فجعلهم يطلبون ولا يعطون، ويشتهون ولا يصبرون، ويحسنون الجمع ولا يعرفون القسمة، حتى حطم فيهم روح المغالبة والمقاومة، تراهم ذئابًا في الليل، جيفًا في النهار، فلا عجب!! ألا يجد هؤلاء من اللذة والراحة، بهذا الشهر المبارك، ما يجده المؤمنون الصادقون.

ومنغص آخر من منغصات الناس في رمضان، تلكم الحركة النشطة، التي تبثها قنوات الأقمار المرئية، التي تنشر الإثم عاريًا، وتحلق الدين قبل أن تحلق العفاف والحياء، جعلوا من رمضان موسم طرب وسهر، تبث فيه الأفلام الرخيصة، والدعايات المضللة، وإن كان للإسلام نصيب في تلك

القنوات، فهو إسلام مشوه الصورة، تُرَى معه القبلات واستجداء اللحظات، صارت وباءً كاملاً، فاحتلت كل مكان، وجذبت إليها الرشيد والسفيه، والقويم والفاسد، وبذلك تخسر الأمة في كل لحظة مواطنًا صالحًا، يضل ضلالة، يغش بها ويخدع، ويسرق ويحتال، تمتعًا بهذا الترف المرئي، والداء المستشري، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومنغص ثالث من تلك المنغصات، المرأة المسلمة؛ ما دورها في رمضان؟ أيكون شغلها الشاغل، التفنن في المأكل والمشرب؟ ماذا أدت لخالقها في هذا الشهر؟ كيف يطيب لها إن تسامت إلى الخير، أن تختلي بأجنبي دون محرم، كيف يطيب لها أن تخرج إلى المسجد مع سائقها متعطرة متبرجة، قد اصطحبت أطفالها في سذاجة وبلادة، وكأن المصلي هي وحدها؟ آذت وآنت، فما صلت ولا صامت، تحملت الوزر من حيث أرادت الأجر، ربما اعتمرت فطافت وسعت، ثم قصرت فحلت إحرامها، خرجت إلى الأسواق كاشفة الوجه أو العينين، أثارت كوامن الشهوة بعينيها، فعلت بألباب الرجال كما تفعل الخمرة بالعقول، فهي خراجة ولاجة، زرعت بتبرجها دروب الناس ألغامًا، طافت بالأسواق، وسعت بين الغادي والرائح، ثم قصرت عن طاعة الله فحلت حياءها، فقارنوا - رحمكم الله - بين هاتين العمرتين!!!!!

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة. . .

* * *

المدافعة بين الإسلام والكفر

الخطبة الأولى

الحمد لله، شرع الجهاد لحماية حوزة الإسلام، جعله رفعة للمسلمين، وهو للإسلام ذروة سنام، أحمده سبحانه، جعل النصر لحزبه، فأعظم بتأييد الملك العلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأنام، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم ما زهرت النجوم، وتوالت الأيام، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بجماعة المسلمين؛ فإن يد الله على الجماعة ومن شذ عنهم شذ في النار.

أيها الناس:

قبل نبوة المصطفى ﷺ بعشرات السنين، كان الناس في هذه البسيطة،

على فترة من الرسل، منقطعين عن المدد الروحي من السماء الذي كانت تعان به الأرض وأهلها، على اجتياز ظلمات المادة، وفسق المادة، وجفاف المادة، فخبَّط الناس في مهامه الحياة ودروبها خبط عشواء، في ظلمات ثلاث، ظلمة العقائد، وظلمة القوانين البشرية، وظلمة الأنفس.

ظلمة العقائد؛ لا يجد فيها الحاذق بصيص نور يهتدي به إلى هداية، أو يخلص به من ضلالة؛ فاستبد الأحبار والرهبان بقلوب الناس وعواطفهم.

وظلمة قوانين، لا يجد فيها عاقل ما يعين على عدالة، أو ما يخرج من مظلمة؛ فاستبد العظماء بأموال الناس وظهورهم، فالظلم عندهم، من شيم النفوس، فإن تجد ذا عفَّة منهم، فلعلة لا يظلم.

وظلمة أنفس، لا يجد فيها المتأمل مكانًا لرحمة، أو نورًا يضيء ظلمة، إلا من رحم الله.

فما زالت الإنسانية، تتخبط في هذه الظلمات الثلاث، وتنحدر إلى هاوية سحيقة، حتى تمخضت عن أمم كان من قسوتها وفظاعتها أن تقتل بنيها شر قتلة، مخافة أن يشاركوهم في مأكلهم أو ملبسهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ قول الله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وكان من عقلها ودينها أن تصنع معبوديها بأيديها، ومن مجدها التي تتغنى به الحذق في انتزاع الأرواح، والمهارة في إيتام الأطفال، وإرمال النساء، وإثكال الأمهات والآباء، حتى لقد صدق قول الله فيهم: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

بعد هذا التخبط المقيت، يبعث الله الرسول الأمي ﴿نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

نطاقه في الأرض؛ فهزم كل ما أمامه من الظلمات الثلاث: ظلمة القوانين، وظلمة العقائد، وظلمة الأنفس. وما استطاعت ظلمة من هذه الظلمات الثلاث، أن تثاقفه أو تواقفه، حتى صار لهذا الدين أنصار وقادة يحملونه في إحدى اليدين، وفي الأخرى يحملون الحديد ذا البأس الشديد، يذودون عنه الإيذاء والاعتداء، ويخلون له الطريق إلى القلوب والعقول، فما أجمل الحق، يعرضه القوي في لين، وما أجمل القوة، تنصر الحق في شجاعة.

حمل هذا الدين رجال وقادة، علمهم نبيهم ﷺ ألا يخاف العبد إلا ربه، وألا يذل، إلا لمن ذل له كل شيء وخلق كل شيء، ولمن بيده أسباب الخوف وأسباب الأمن وحده ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وعلمهم نبيهم، ألا يتأخر عن الموت من طلب الحياة وأحبها، فإنَّ من رغب في الموت، ذلت له ناصية الحياة، ومن رغب في الحياة ذلت ناصيته هو للموت. قال أبو بكر رضي الله عنه: «احرص على الموت توهب لك الحياة».

كانوا يُقْدمون على الموت، إقدام من ليست حياته ملكًا له، فأخذوا بنواصي الأكاسرة، وهامات القياصرة، وذروا التراب على وجوه الطغاة، الذين طالما جرعوا الإنسان جرع الذل والهوان، وأذاقوه غصص الخسف والاستبداد.

عباد الله: قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

المدافعة بين الإسلام والكفر، ضرورية لحياة الشعوب وبقائها، وكل

المدافعة بين الإسلام والكفر، ضرورية لحياة الشعوب وبقائها، وكل شعب فقد هذا الدواء على مر التاريخ فقد الحياة ولا محالة، فأكلته شعوب الكفر، وطحنه تنازع البقاء، وذهب أقسامًا، بين أشتات المطامع والأهواء.

أيها الأحبة في الله:

يخطئ كثيرًا، من يظن أن هزائم المسلمين في عصرهم الحاضر، كانت بدعًا في تأريخهم الطويل، كلا؛ فالأمر ليس كذلك؛ بل إن أمر المسلمين قد يعلو تارة، ويهبط أخرى، بمقدار قربهم من ربهم وإحيائهم لسنة الجهاد في سبيل الله. قال رسول الله ﷺ: «**من لم يغز أو يجهز غازيًا، أو يَخْلُفَ غازيًا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة**» رواه أبو داود وابن ماجه بسند جيد. والقارعة: هي الداهية.

لذا، فقد هبط أمر المسلمين في قرون مضت، حتى اغتصب الحجر الأسود بضع سنين، فما عاد إلى موضعه: إلا بعد لؤى وشدائد.

ولكن هذا التاريخ الذي هبط، سرعان ما علا وارتفع، وهكذا أصبح تاريخ المسلمين، يتأرجح بين مد وجزر، في صورة حقيقية لا ينكرها إلا غر مكابر.

أيها المسلمون:

إن الناظر في واقع العالم اليوم، إن كان ذا لب وبصيرة، فإنه لن يتمالك من قوة الفهم، إلا أن يقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أشبه اليوم بالأمس. فها هو التاريخ يعيد نفسه، تتغير مراكز القوى، وتنقلب معايير النفوذ والاتساع، حتى أصبحت متمركزة في معسكرات الكفر، بحيث لا تُفَسَّر إلا بالقوة التي كان يمارسها الجاهليون ضد الإسلام، وإن كان دور أهل الكفر الذين سيطروا على المسلمين في قرون مضت لا

يتجاوز سيوفًا ضربوا بها هام المسلمين ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وضربوا منهم كل بنان، حتى يقول الكافر للمسلم: قف مكانك حتى آتي بسيفي لأقتلك، فيقف المسكين مكانه لا يحرك ساكنًا، حتى يأتي ذلك الرجل فيقتله - إن كان ذلك، هو أسلوب أهل الكفر في ذلك الحين؛ فإن أسلوبهم في هذا العصر، ينطلق من محاور متعددة، أورثت لدى المسلمين جبنًا وخورًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وانطلقوا يغزونهم في عدة ميادين، تمثلت في إذكاء التخلف العلمي، والتخلف الاقتصادي والصحفي، والتحدي الثقافي، في مجال الدراسات الإسلامية، والدراسات التاريخية والأدبية واللغوية، والتحديات الاجتماعية والإعلامية وإثارة الحروب الأهلية، والنعرات الطائفية، إنها حرب شعواء، لا هوادة فيها.

إن أهل الكفر، هم أبعد الناس عن العدالة، وأنأى الناس عن الرحمة، وإن زعموا العدل في محاكمهم الدولية، أو مجالسهم ومقرراتهم الدستورية، لقد صار غبياً عندهم من يحاول أن ينال حقه باسم العدالة أو الرحمة الدولية، أو القوانين الخاصة أو العامة أو باسم المدنية والإنسانية، وصار المغبون حقًا، هو ذلك الضعيف المهزول، الجاثي على ركبتيه المهزولتين، أمام تلك القوى الكافرة الظالمة، يستجديها حقه، ويسألها إنصافه ويطلب إليها بمدمعه، لا بمدفعه، أن يمسح الدم عن أظافره الدامية، ويطهر فمه من لحوم الضعفاء الأبرياء، ويناديه باسم المدنية، وباسم الحقوق الإنسانية، فصار لا يوجد العدل إلا حيث يوجد الجور، ولا يوجد السلم إلا حيث توجد الحرب، وصارت القوى الكافرة الظالمة، لا تذكر العدالة ولا الحقوق الإنسانية إلا إذا تحدثوا إلى الأقوياء الباطشين أمثالهم، أما الضعيف العاجز عن المدافعة، فما له عندهم إلا التمدين، زعموا، ومعناه:

والتطبيع، وسائر ما للبؤس والشقاء من مظاهر ومعان.

كل ذلك أيها المسلمون مصداق لقول المصطفى ﷺ: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**، قيل: أومن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: **لا أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل**» أخرجه أبو داود وأحمد، وهو صحيح.

هجمت عليهم الدنيا فتنافسوها؛ فقلبت موازين الحياة عندهم، نسوا قول الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ونسوا قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقول الله عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ونسوا قول المصطفى ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**» رواه أبو داود، وأحمد بنحوه، وهو صحيح.

انقلبت موازين الحياة عندهم، فأخْرجت سُنَّةُ المدافعة من النفوس، ظنوا أن الشجاع المقاتل يقتل دون الجبان المسالم، المقر للخسف في دينه وملته وأرضه، حسبوا أن الجبناء أطول آجالاً من الشجعان فقالوا:

يقرب حب الموت آجالنا لنا — وتكرهُهُ آجالُهم فتطول

ولأجل هذا، كان من يحرصون على الحياة، يهرعون إلى السلم والمسالمة. والحقيقة الواضحة أيها المسلمون على العكس من ذلك، فإنه لا يقتل غالبًا إلا الجبان، ولا يقع في الحرب إلا الهارب إلى السلم، ولا ينال الشر إلا أهل الدعة واللين والخوف.

عباد الله:

إن الإرهاصات المتتابعة، التي أذكاها أهل الكفر والشرك لم تذهب سدى، فنحن نرى بين الفينة والأخرى، نفوسًا ضعيفة، وأقلامًا مأجورة. ترعرعت في

كنف الكفر، فأخذت تبث دعايات مضللة، مفادها هدم ركن ركين، وأصل أصيل من أصول الإسلام، ألا وهو ركن الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين. الولاء والبراء، الذي هو من لوازم كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله» . ذلك اللازم المؤكد في قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وفي مثل قوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي مثل قول المصطفى ﷺ، لجرير بن عبد الله البجلي لما بايعه على الإسلام قال له: « **أن تنصح لكل مسلم،وتبرأ من الكافر** » رواه أحمد بسند حسن.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

قال العالم المجدد، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فأما صفة الكفر بالطاغوت، فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم.

وذكر رحمه الله من نواقض الإسلام: من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم، أو يصحح مذهبهم كفر. وقال رحمه الله: ومظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت،ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»رواه مسلم.

أيها الناس:

هذا الركن الركين والحصن الحصين، مالت نفوس ضعيفة، اجتالتها

الشياطين عن فطرة التوحيد. مالت بهم إلى نبذه من واقع حياتهم، فيما يسمونه بالعالمية، أو زمالة الأديان أو التطبيع بين الكفر والإسلام، ومعنى تلك المسميات كلها، هو توسيع دائرة الولاء؛ بحيث يدخل فيها كل الأقوام والأديان والأوطان، حتى يصبح المسلم وهو لا يشعر بالفارق بينه وبين غيره من الكفار في بقاع الأرض، وقد يطغى على هذا المبدأ، ألفاظ براقة خادعة، كالحرية والإخاء، والعدل والمساواة، وبذلك يُطْمس الولاء والبراء، وتُشْعر ذروة سنام الإسلام، وهي الجهاد في سبيل الله، وقد ذم الله هذا الصنيع وحذر منه بقوله: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف: ٨٦].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وعودوا إلى دينكم عوداً حميداً، اتقوا الله والتفتوا إلى واقعكم، انظروا إلى دماء الأبرياء من بني ملتكم، تصرخ ولا مغيث، إن ضعف المسلمين واستكانتهم جعلت من دم المسلم عملة رائجة في سوق سوداء، لا تخضع لنظام، ولا يحميها قرار.

أيها المسلمون:

استمعوا إلى نصح ربكم في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

بارك الله لي ولكم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، ثم اعلموا أن معركة الإسلام مع الكفر، ليست وليدة اليوم، وإنما هي فصول يقصها القرآن وترويها السنة، في أدوار مختلفة، ولن يخلو زمان أو مكان من تلك المعركة الضارية، غير أن النور الذي حمله رسول الله ﷺ ليضيء للدنيا، لن ينطفىء أبدًا، بل هو باق خالد، في أيدي المسلمين، يحملونه إلى البشرية ليضيء الدنيا مرة أخرى بأمر من الله، ويوحد الكلمة، ويجمع الشتات، وإن للمسلمين في وعد ربهم، ما يَشُدُ عزائمهم للثبات على دينهم ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» رواه البخاري.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

قال ابن جرير رحمه الله: أي ليعليَ الإسلام على الملل كلها، ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها.

وقال ابن كثير رحمه الله: أي يظهره على سائر الأديان كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها** ».

إن شعوبًا لا تعرف إلا الله، لن يغلبها من لا يعرف الله، وإن من لا يعرف إلا الحق، لن يغلبه من لا يعرف إلا الباطل. فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

غير أن الأمر قد بات من الخطورة، بحيث يوجب البحث عن الأسباب المفضية إلى ضعف المسلمين، وخسائرهم الفادحة!!

ولننظر إلى مصدرها، هل هو غش ثقافي، أو عوج خلقي، أو خلل سياسي واجتماعي؟ وما الذي أفقد الأمة كيانها ثم جعلها تتلقى الضربات وتصرع أمامها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وانظروا إلى نصوص الشرع برضىً وطواعية، مصحوبين بالاستسلام لله ولشرعه، وليعلم الذين يُقْصون شرع الله من واقع حياتهم، أو يخرجون جانبًا من جوانب الإسلام، في سياسة أو حكم أو اقتصاد أو ما شابه ذلك.

ليعلموا أن ركب الإسلام سائر بإذن الله، وأن الله سيُبْلغُ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولن يدع الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعزّ به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر.

فالأولى بالمقصرين من أهل الإسلام، والمعادين له من أهل الكفر والشرك، أن يستسلموا لشرع الله بعودة صادقة إلى الله، وإخلاء الطريق للشعوب المسلمة لتسعد بشرع الله.

ليت الذي لم يكن بالحق مقتنعًا يخلي الطريق ولا يؤذي من اقتنعا

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

آفة العصر (المسكرات والمخدرات)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، اتقوا ربكم وراقبوه في السر والعلن، فبتقوى الله عز وجل، تصلح الأمور، وتتلاشى الشرور، ويصلح للناس أمر الدنيا والآخرة.

عباد الله:

لقد كرم الله عز وجل، بني الإنسان على كثير من مخلوقاته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

كرم الله عز وجل، بني آدم بخلال كثيرة، امتاز بها عن غيره من المخلوقات، من جماد وحيوان، ونبات وجان؛ كرمه بالعقل، وزينه بالفهم، ووجهه بالتدبر والتفكر، فكان العقل من أكبر نعم الله على الإنسان، به يميز بين الخير والشر، والضار والنافع، به يسْعَدُ في حياته، وبه يدبر أموره وشئونه، به يتمتع ويهنأ، به ترتقي الأمم وتتقدم الحياة، وينتظم المجتمع الإنساني العام، وبالعقل يكون مناط التكليف.

العقل، جوهرة ثمينة، يحوطها العقلاء بالرعاية والحماية؛ اعترافًا بفضلها، وخوفًا من ضياعها وفقدانها.

بالعقل يَشْرُفُ العقلاء، فيستعملون عقولهم فيما خلقت له، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: ١٧]. وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [طه: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر: ٥].

وإذا ما فقد الإنسان عقله، لم يُفَرَّقْ بينه وبين سائر الحيوانات والجمادات، بل لربما فاقه الحيوان الأعجم، بعلة الانتفاع. ومن فقد عقله،

لا نفع فيه ولا ينتفع به، بل هو عالة على أهله ومجتمعه.

هذا العقل الثمين، الذي هو مناط التكليف، يوجد في بني الإنسان، من لا يعتني بأمره، ولا يحيطه بسياج الحفظ والحماية، بل هناك من يضعه تحت قدميه، ويتبع شهوته، وتعمى بصيرته، كل هذا يبدو ظاهراً جليًا، في مثل كاسة خمر، أو جُرْعة مخدر، أو استنشاق مسكر وشرب مفتر، تفقد الإنسان عقله؛ فينسلخ من عالم الإنسانية، ويتقمص شخصية الإجرامِ والفتك والفاحشة؛ فَتُشَلُّ الحياة، ويُهْدم صرح الأمة، وينسى السكران ربه، ويظلم نَفسه، ويَهَيمُ على وجهه، ويَقْتُل إرادته، ويمزق حياءه، أيتَم أطفاله، وأرمل زوجتَه وأَزرى بأهله لما فقد عقله، فعربد ولهى ولغى. وبذلك كله، يطرح ضرورة من الضروريات الخمس، التي أجمعت الشرائع السماوية على وجوب حفظها، ألا وهي ضرورة العقل.

إنها واجبة الحفظ والرعاية؛ لأن في حفظها قوام مصلحة البشرية؛ ففاقد العقل بالسكر، يسيء إلى نفسه ومجتمعه، ويوقع مجتمعه وبني ملته في وهدة الذل والدمار؛ فيخل بالأمن، ويروع المجتمع، ويعيد أساطير الثمالى الأولين، ومجالس الشراب عند العرب الجاهليين.

عباد الله:

فقدان العقل بالسكر، عادة قبيحة، كانت تلازم أهل الجاهلية، عند معاقرتهم الخمرة، يقضون الليالي الساهرة، مع الأصحاب والخلان على احتسائها.

وهم مع ذلك يعدونها وسيلة من وسائل الفخر والكرم.

لقد أغرمَ الجاهليون بالخمرة، حاضرة وبادية، وافتخر الشعراء

بمعاقرتها، وبذل المال في سبائها.

أقبل الجاهليون على الخمرة؛ من أجل قتل الفراغ، ونسيان الفقر، فأكثر شعراؤهم القول في الخمور، على حين فترة من الرسل، فَصُدِّرت الخمرة في مطلع معلقة هي من أشهر معلقات العرب السبع، والتي قيل: إنها عُلقت على أستار الكعبة، أنشد فيها عمرو بن كلثوم:

ألا هُبي بصحنك فأصبحينا   ولا تبقي خمور الأندرينا

تناقل العرب والشعراء تلك المعلقة، وكأنها قرآن يتلى؛ فأخذت بمجامع الناس، وأيام العرب، حتى قال قائلهم:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

إذن، كانت الخمرة في الجاهلية من دواعي فخر العربي وكرمه، وكان تقديمها للضيوف وجمع الفتيان لشربها مفخرةً أي مفخرة.

ثم يأتي رسول الله ﷺ معلنًا لأمته قوله: « **ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع** » أخرجه مسلم.

أيها الناس:

إن أمة لا تحافظ على عقول بنيها لأمة ضائعة، ماذا فعل السكر بأهل الجاهلية، هل أعاد لهم مجدًا تليدًا، أو وطنًا سليبًا، هل أخرجوا الناس من ظلمات الجهل والتيه، إلى نور الهدى والاستقامة، أيفلح قوم استفحل السكر والخمر في ديارهم جهارًا ونهارًا؟ لا، وكلا وألف لا.

ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ في حادث الإسراء أنه قال: « **وأُتيت بإناءين: في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، قيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن، فشربت، فقيل لي: هُديتَ الفطرة، أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت**

الخمر، غوت أمتك» وفي بعض روايات ابن جرير رحمه الله، أن جبريل قال: « **أما إنها ستحرم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل** » .

الله أكبر! إن قول جبريل عليه السلام يؤكد أن الأمة المسلمة الحقة، لا يمكن أن تتبع شاربَ خمر، حتى ولو كان رسول الله ﷺ وحاشاه عن ذلك، بأبي هو وأمي، صلوات الله وسلامه عليه

إذن، لا يجتمع في الأمة لبن وخمر، بمعنى أنه لا تجتمع فطرة وخمر، فإما فطرة صالحة بلا خمر، وإما خمر وتيه بلا فطرة. قال رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** » رواه البخاري ومسلم.

عباد الله:

إن الخمور التي كانت من مفاخر الجاهلية، ومن تقاليدهم المألوفة، جاء الإسلام بإلغائها، وخلص الجماعة المسلمة من رواسب الخمرة، بعد أن رسخ دعائم التوحيد والعقيدة في نفوسهم، وأخرجهم من عبادة العباد، وعبادة الشهوة والجسد، إلى عبادة الله وحده. وأخرج كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم من منادمة الخمرة، فصقلهم الإسلام صقلاً هجروا بسببه كل عادة تغضب الله ورسوله.

فها هو حسان بن ثابت رضي الله عنه يقول عن الخمر في الجاهلية:

ونشربها فتتركنا ملوكًا   وأسدًا ما ينهنها اللقاء

فلما خالط الإسلام قلبه، صار شعره أشد على نحور المشركين من وقع النبل، كما قال ذلك رسول الله ﷺ. أخرجه النسائي والترمذي وقال: حسن صحيح.

وهذا أبو محجن الثقفي رضي الله عنه، الذي اشتهر بالخمرة في جاهليته، وهو الذي ينسب إليه قوله:

إذا ما مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فلما تمكن حب لله ورسوله من قلبه أبلى بلاءً حسنًا في القادسية، وقال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لا حبستك في الخمر بعدها أبدًا، فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدًا، فنعم الإسلام هاديًا ومؤدبًا.

أيها الناس:

إن رذيلة المخدرات والمسكرات، آفة خبيثة، لم تفش في عصر من العصور، كما فشت في عصرنا الحاضر، ولم تصب المجتمعات بحمى السكر، التي شنها أعداء الإسلام على جميع بلاد المسلمين، بهدف تخديرهم، وإهدار طاقاتهم، وشل جهودهم، وتغييب عقولهم علنًا، كما أصيبت في هذا العصر.

لقد قام أعداء الإسلام، بزج كميات رهيبة من جميع أصناف المخدرات، إلى بلاد المسلمين حسدًا من عند أنفسهم، يريدون للأمة المسلمة أن تتورط بهذه السموم، فلا تخرج منها إلا بعد لأيٍ وشدائد، وتعب مضنٍ، وتوبة صادقة.

وقع جمع من الناس في براثنها، ورضعوا من أثداء المخدرات والمسكرات؛ فنقضوا بناء المجتمعات ونثَّروا أعضاءها، وبددوها شذر مذر، نفخت روح الحضارة العصرية في بعضهم نفخة كاذبة، وخيلت إليهم أنهم خلق وجيل، مغاير لما مر من الأجيال في التاريخ كله، زعم المتفننون منهم، أنهم خلق، لا تنطبق عليهم سنة، ولا يخضعون لسابقة، رأوا أنهم في عصر الذرة، وعصر المعلومات، فقالوا للناس أجمع: أما

علمتم أن الدنيا دخان وكأس سكر وغانية؟!

أمة الإسلام:

كم من الآلاف في أمتنا، يعكفون على المسكرات والمخدرات، يهلكون أنفسهم عن طريق هذه الكيوف السامة القتالة، فأخذوا يزهقون أرواحهم، ويحفرون قبورهم بأيديهم حتى صاروا أشباحًا بلا أرواح، وأجسامًا بلا عقول.

أيها المسلمون:

إن للمسكرات والمخدرات مضاراً كثيرة أثبتها الطب العصري، وأكدتها تجارب المجتمعات، وذكروا فيها أكثر من مائة وعشرين مضرة، دينية ودنيوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الحشيشة حرام، يُحَدُّ متناولها كما يحد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة، وغير ذلك من الفساد، وأنها تصد عن ذكر الله». اهـ كلامه رحمه الله.

ومن أعظم مضار المسكرات والمخدرات، أنها تفسد العقل والمزاج، وما قيمة المرء إذا فسد عقله ومزاجه، يتعاطى المسكرات والمخدرات، فيرتكب من الآثام والخطايا، ما تضج منه الأرجاء، وما يندم عليه حين يصحو، ولات ساعة مندم، ولقد روى القرطبي رحمه الله في تفسيره، أن أحد السكارى جعل يبول، ويأخُذُ بولَه بيديه ليغسل به وجهه وهو يقول: اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين.

قال الضحاك بن مزاحم رحمه الله لرجل: ما تصنع بالخمر؟ قال: يهضم طعامي. قال: أما إنه يهضم من دينك وعقلك أكثر.

وقال الحسن البصري رحمه الله: لو كان العقل يُشْتَرى، لتغالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده!

أيها الناس:

في بلاد المسلمين، كثرت حوادث المخدرات، من مروجين ومدمنين، وكثرت الجرائم بتعاطيها، وأصبحت مكافحة المخدرات قضية تشغل الحكومات المختلفة. وكل هذا يتم في غياب وازع الإيمان.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واتقوا المسكرات والمخدرات، واتقوا الخمر فإنها أم الخبائث.

أخرج النسائي وابن حبان في صحيحه، أن عثمان رضي الله عنه قام خطيبًا فقال:

« أيها الناس، اتقوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، وإن رجلا ممن كان قبلكم من العباد، كان يختلف إلى المسجد، فلقيته امرأة سوء، فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل. فأغلقت الباب، وعندها باطية من خمر، وعندها صبي، فقالت له: لا تفارقني حتى تشرب كأسًا من هذا الخمر، أو تواقعني، أو تقتل الصبي، وإلا صحتُ، يعني صرخت، وقلت: دخل عليَّ في بيتي، فمن الذي يصدقك؟ فضعف الرجل عند ذلك وقال: أما الفاحشة، فلا آتيها، وأما النفس، فلا أقتلها، فشرب كأسًا من الخمر. فقال: زيديني فزادته، فوالله ما برح، حتى واقع المرأة وقتل الصبي.

قال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوها، فإنها أم الخبائث، وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل، إلا يوشك أحدهما أن يذهب بالآخر».

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الإسلام تدرج في الخمر، حتى ختمها الله بالتحريم، ثم قال عز وجل ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]؛ فقال الصحابة رضوان الله عليهم: « انتهينا انتهينا».

ويشمل تحريم الخمر، جميع أنواع المسكرات؛ لقوله ﷺ: « كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام» رواه مسلم.

وشارب الخمر، مستحق للعقوبة الدنيوية وهو أن يُجْلَدَ ثمانين جلدة، ويُحَد شاربها وإن لم يَسْكُر سواء أشرب الكثير أم القليل، بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

وإذا تكرر من الشارب الشرب، وهو يُعَاقَب ولا يرتدع، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « يقتل في الرابعة عند الحاجة إليه، إذا لم ينته الناس بدون القتل»

وهذا عين الفقه؛ لأن الصائل على الأموال، إذا لم يندفع إلا بالقتل قتل، فما بالكم بالصائل على أخلاق المجتمع وصلاحه وفلاحه.

وشارب الخمر فاسق، لا يُسَلَّم عليه، ولا يعاد إذا مرض، ولا تجاب دعوته، قال البخاري رحمه الله في الأدب المفرد: «باب لا يسلم على شارب الخمر» وساق بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: « لا تسلموا

على شُرَّاب الخمر » .

وقال أيضًا : « لا تعودوا شُرَّابَ الخمر إذا مرضوا » .

وأما العقوبة الأخروية ، فقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذي ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه**» وهو حديث حسن .

وقال ﷺ : « **من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها، حُرِمَهَا في الآخرة** » رواه مسلم .

وقال ﷺ : «**مدمن الخمر إن مات، لقي الله كعابد وثن**»رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وقال ﷺ : «**كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**، قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال؟ قال : **عَرَقُ أهل النار** ، أو : **عُصَارة أهل النار**» رواه مسلم .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

اتبعوا ولا تبتدعوا

الخطبة الأولى

الحمد لله حمد الشاكرين، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، خيرة خلقه، وخاتم رسله، دعا إلى الله على بصيرة؛ فاستجاب لدعوته الراشدون، وتخلف عنها الحمقى والمخذولون، كان قدوة صالحة، وأسوة حسنة؛ فأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، لم يدع شيئًا يقرب إلى الله إلا دعا إليه، ولا شيئًا يبعد عنه إلا حذر منه، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الأتقياء البررة، الذين استجابوا له، وأحيوا سنته، ومهدوا لمن بعدهم منهاجه وشرعته.

أما بعد:

فاعلموا أيها الناس. أن الدين الإسلامي كغيره من الشرائع السماوية، التي أرسل الله الرسل من أجلها، دين مبني على الاتباع والاقتداء والتأسي. ولا يصير الدين دينًا إلا إذا كان الخضوع فيه للحق سبحانه؛ حيث إنه لا يفهم دين بلا خضوع ولا اتباع.

وإن خير هدي ينتهجه المفلحون، وخير طريق يسلكه الصالحون، هو هدي رسول الله ﷺ، والطريق الذي رسمه للأمة في كل اتجاه، فلا هدي أحسن من هديه، ولا طريق أقوم من طريقه، وهيهات هيهات، أن يأتي الخلف في أعقاب الزمن، بخير مما كان عليه السلف الصالح في عصور النور.

ومن غربة الدين، أن تلتصق به المحدثات، والمسلم الحصيف، يتجه نحو المعين الصافي، يشرب منه فيرتوي، ويقصد مصدر النور، يقتبس من إشعاعه فيهتدي، وإن النور لا يتم، إلا بهدى الله وكتاب الله وحكم الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]. ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أيها الناس:

إن عصر المسلمين الحاضر، يعد عصر تجدد وانتقال، كما كانت عصور المسلمين الأولى، إبان اختلاطهم بالحضارات الفلسفية، والثقافات الإغريقية، حين أخذوا من أهلها وأعطوهم؛ فاختلط الناس بالغازين، وبأفكارهم الأجنبية عنهم؛ فجنحوا إلى شرعة الغير، إذا وافقت أهواءهم، وأشرأبت لها شهواتهم ورغباتهم.

وتمثل ذلك جليًا في أخذ أهل تلك العصور من المسلمين بما وضعه قادة الغزاة التتر، فيما أسموه بالياسق، الذي قال عنه ابن كثير رحمه الله: وفيه: « أن من زنى قتل محصنًا أو غير محصن وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيرًا أو سقاه بغير إذن أهله قتل » إلى غير ذلك من البدع الكفرية والترهات البشرية، المخالفة لمنهج الله وشرعته.

في عصور الانتقال، تتعدد مسالك الحياة، وتتزاحم المذاهب الدخيلة، والدعوات الدعية، ومكان السنة بين هذه الدعوات والمذاهب، أنها دعوة كمال، فكلما تردد الإنسان بين طريقين، دعته السنة إلى خيرهما، وإن تردد العقل بين حق وباطل، دعته السنة إلى الحق، وبهذا يعلم، أن دعوة السنة، كانت لأصعب الطريقين، وأشق الأمرين بالنسبة لأهواء البشر، وسبب ذلك، هو أن الانحدار مع الهوى سهل يسير، ولكن الصعود إلى العلو صعب وشاق، وإن الماء ينزل وحده حتى يستقر في قرارة الوادي، ولكنه لا يصعد إلى العلو، إلا بالجهد والمضخات.

إن إبليس عليه لعائن الله، قد احتال بفنون الحيل على الخلق، وأمال أكثرهم عن العلم، الذي هو مصباح السالك، فتركهم يتخبطون في ظلمات الجهل، ودخل عليهم في دينهم، من رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم، جمعت لهم الإعراض عن علم الشريعة، مع سوء الفهم للمقصود منها فحدثت منهم بدع قبيحة، وألزمهم إبليس زاوية التعبد، وأظهر لهم من الخزعبلات والطقوس ما أوجب إقبال العوام عليهم فجعل إلههم هواهم.

عباد الله:

إن البدع المحدثة، فيها ـ مع سوء الظن بصاحب الرسالة، تشويه لجمال الدين، وطمس لمعالم السنن، وحيلولة بين الناس وبين دينهم الصحيح، والحكم الفصل في ذلك، هو الوقوف عند السنن، ورد الأمور إلى حكم الله وحكم رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكل سبيل غير صراط الله، عليه شيطان يدعو إليه فيحببهم في البدعة، ويبعدهم عن السنة وهي مرحلة من مراحل الشيطان، التي يتدرج بها مع

المسلم؛ حيث يدعوه إلى شبهات من الابتداع، زيادة ونقصًا في الاعتقاد والعمل، والمتورطون في ذلك من الأمة كثير، وللشيطان في ذلك جولات وانتصارات، إما بأن يعتقد العبد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله، من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدين، التي لا يقبل الله منها شيئًا.

قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان البدعتان، في الغالب متلازمتان، قلَّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال؛ فاشتغل الزوجان بالعرس، فلم يفجأهم، إلا وأولاد الزنا يعيثون في بلاد الإسلام، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى.

قال سفيان الثوري رحمه الله: البدعة، أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يرجع منها، والبدعة لا يرجع منها.

أيها الناس:

قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، فكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء. قال النووي رحمه الله: هذا الحديث، مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك.

وأهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، استقر كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ في سويداء قلوبهم، فمراد الله ومراد رسوله ﷺ عندهم، قد خلدا بهذين الوحيين، فلا تعقيب لأحد بعد الله ورسوله، ولا

يزالون منذ فتحت للفهم عقولهم، ووجه شطر العلم طلبهم، ينظرون في عقلياته وشرعياته، وأصوله وفروعه، إلى أن من عليهم الرب الكريم، فشرح لهم من معاني الشريعة، ما لم يكن في غيرهم، وألقى في نفوسهم أن الدين قد كَمُل، وأن السعادة فيما وضع، والطِلْبَةَ فيما شرع، وما سوى ذلك فضلال وبهتان. وأن العاقد عليهما بكلتا يَديه، مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وما سواها فأوهام وخيالات، تندرس بها رسوم السنة، حتى تَمُدَّ البدع أعناقها، فيشكل مرماها على جمهور المصلحين.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد ﷺ فلا تعبدوها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً». وقال مالك بن أنس: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا».

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأن يحذر أمته من شر ما يعلمه لهم»** رواه مسلم.

أيها المسلمون:

قال رسول الله ﷺ: **«إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»** رواه أبو داود والترمذي.

والبدعة: هي ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وهي تؤخذ في الغالب؛ تقليدًا لشيخ معظم، أو والد محترم، أو مجتمع تُقدس عاداتُه، أو أفكار تستحسن، أو مبادئ تستورد، وما وفد على الأمم الممزقة الحائرة، من دخَلٍ وابتداع، كان نتاج التقليد الأعمى، والإنقياد الأرعن، الذي أدخل عليهم ما شاء الله أن يدخل، من البدع والأهواء.

والبدع سريعة الانتشار، تنجم كقرون المعزى، تستلفت أنظار الدهماء، فيعمى دونها الذين لا يبصرون، ويصم عنها الذين هم عن السمع معزولون، فتعود صغار البدع عندهم كبيرة، بعد أن كان أولها صغيرًا يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت، وصارت دينًا يدان بها، فخالف أصحابها الصراط المستقيم.

ولما كثرت البدع وعم ضررها، ودام الإكباب على العمل بها، والسكوت من أهل العلم والفقه عن الإنكار لها، صارت وكأنها سنن مقررات، وشرائع محررات؛ فاختلط المشروع بغيره، والتبس بعضها ببعض إلا على من عصم الله، مع أن الداخل في هذا الأمر اليوم، فاقد المساعد إلا ما شاء الله، ينحو منحى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؛ حيث يقول: «ألا وإني أعالج أمرًا لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وَفَصُح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه دينًا لا يرون الحق غيره».

فرحم الله الخليفة ابن عبد العزيز؛ إذ التنبيه على البدع، أمر لا سبيل إلى إهماله، ولا يسع أحدًا ممن له منَّة، إلا أن يأخذ بالحزم والعزم المشوبين بالحكمة والموعظة الحسنة، في بثه بعد تحصيله، وإن كره المخالف، فكراهيته لا حجة فيها على الحق ألا يرفع منارُه، وألا تكشفَ وتجلى أنواره.

قال سيد التابعين أويس القرني رحمه الله: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يدعا للمؤمن صديقًا؛ نأمرهم بالمعروف، فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك أعوانًا من الفاسقين، حتى والله رموني بالعظام، وأيم الله، لن أدع أن أقوم فيهم بحقه».

وقال الأوزاعي رحمه الله: «إن السلف رحمهم الله تشتد ألسنتهم على أهل البدع، وتشمئز قلوبهم منهم، ويحذرون الناس بدعتهم، ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس، ما كان لأحد أن يهتك سترًا عليهم، ولا يظهرَ منهم عورة، الله أولى بالأخذ بها، وبالتوبة عليها، فأما إذا جاهروا، فنشر العلم حياة، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة، يعتصم بها على مصر ملحد».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن عند كل بدعة كيد بها الإسلام، دليلاً من أوليائه يَذُبُّ عنه، وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً».

فالبدعة إذًا أيهاالمسلمون، طوفان مغرق، والسنة الصحيحةسفينة نوح، من ركبها فقد نجا، ومن تركها غرق، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا البدع، صغيرها وكبيرها، واعلموا أن من ابتدع بدعة في الإسلام فله وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل: ٢٥]. قال رسول الله ﷺ: **«من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئًا»** رواه مسلم.

وقال ﷺ: **«ما من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل منها؛ لأنه**

أول من سن القتل» رواه مسلم .

فليتق امرؤ ربه ، ولينظر قبل الإحداث ، في أي مزلة يضع قدمه؟ وهو لا يدري ما الذي يوضع له في ميزان سيئاته ، مما ليس في حسابه ولا شَعَرَ أنه عمله .

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأقوال والأعمال والأهواء والأدواء .

أعـوذ بالله من الشـيطان الرجـيم ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن البدع شأنها خطير، وشرها مستطير، ما فشت في قوم إلا كانت نذير شؤم وخطر، فكل ما أُحْدِثَ مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أو عُمل على غير مراد الله ورسوله ﷺ فهو رد، كائنًا ما كان، في العبادات، أو المعاملات، أو السياسات، أو الاقتصاد، أو الحكم أو الثقافة، أو غير ذلك.

وقد حذر السلف الصالح، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، أشد التحذير منها، ومن مرتكبيها، وقد أوصى الخليفة الراشد، عمر بن عبد العزيز أحد ولاته فقال: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ وتَرْك ما أَحْدَثَ المحدثون، بعدما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة، إلا قد مضى قبلها، ما هو دليل عليها أو عبرة منها، فإن السنة إنما سنها، من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتملق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فقد قصر قوم دونهم

فجفوا، وطَمَحَ عنهم أقوام فضلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم» .

ثم اعلموا أيها المسلمون: أنه ما ظهرت بدعة وفشت، إلا وأماتت معها سنة من السنن؛ لأن الأصل في البدعة، أنها لم تظهر إلا بعد تَرْك سنة؛ فكانت البدعة كالعلامة الدالة على ترك طريق السنة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدعة وتموت السنن» .

وروى الإمام أحمد، عن غُضَيف بن الحارث أنه قال: بعث إليَّ عبدُ الملك ابنُ مروان. فقال: يا أبا سليمان، إنا قد جمعنا الناس على أمرين، فقلت: وما هما؟ قال: رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد العصر والصبح. فقلت: أما إنها أمثل بدعتكم عندي، ولست بمجيبكم إلى شيء منها. قال: لم ؟قال: لأنه ما أحدث قوم بدعة، إلا رفع مثلها من السنة، فَتَمَسُّكٌ بسنة ، خير من إحداث بدعة .

ثم اعلموا أيها المسلمون:

أن فئامًا من الناس، ينشطون للعبادة في شهر رجب، وتتوق أنفسهم لها، كأنما تنحدر من صبب، واستمعوا حفظكم الله، إلى كلام الحافظ ابن رجب عن شهر رجب، فقد أتى بما به يقضي العجب، فقال رحمه الله في لطائفه: « وقد روي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء من ذلك. وأما الصلاة فلم يصحَّ في شهر رجب صلاةٌ مخصوصةٌ تختص به، لا عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه. والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب، في أول ليلة جمعة من شهر رجب، كذب وباطل لا تصح. وأما الاعتمار، فقد أنكرتَ عائشةُ رضي الله عنها أن يكون النبي ﷺ اعتمر في شهر رجب؛ بل هو كغيره من الشهور. وأما الصيام، فلم يصح في فضل

صوم رجب بخصوصه، شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد أحدث الناس في هذا الشهر عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله، ومن ذلك تعظيمُ أول خميس منه، وليلة أولِ جمعة منه فإن ذلك إنما حدث في الإسلام بعد المائةَ الرابعة، ولا يجوز تعظيمَ هذا اليوم؛ لأنه مثل غيره من الأيام».

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

ولذكر الله أكبر

الخطبة الأولى

الحمد لله ذاكر من ذكره، يتولى الصالحين ويثيب الذاكرين، ويزيد من شكره، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، فما خاب من ذكره، وما انقطع من شكره. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده وسوله سيد الذاكرين، وقدوة الشاكرين، صل الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الأتقياء البررة. . .

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السر والعلن، اتقوه واعبدوه، واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

أيها الناس:

إن قلوب البشر طُرًا، كغيرها من الكائنات الحية، التي لا غنى لها عن أي مادة من المواد التي بها قوام الحياة والنماء، ويتفق العقلاء جميعًا، أن القلوب قد تصدأ كما يصدأ الحديد، وأنها تظمأ كما يظمأ الزرع، وتجف كما يجف الضرع؛ ولذا، فهي تحتاج إلى تجلية وري، يزيلان عنها الأصداء

والظمأ، والمرء في هذه الحياة، محاط بالأعداء من كل جانب؛ نفسه الأمارة بالسوء، تورده موارد الهلكة، وكذا هواه وشيطانه، فهو بحاجة ماسة، إلى ما يحرزه ويؤمنه، ويسكن مخاوفه، ويطمئن قلبه. وإن من أكثر ما يزيل تلك الأدواء، ويحرز من الأعداء، ذكر الله والإكثار منه لخالقها ومعبودها؛ فهو جلاء القلوب وصِقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها.

قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون السمك إذا فارق الماء؟

عباد الله:

العلاقة بين العبد وبين ربه، ليست محصورة في ساعة مناجاة في الصباح، أو في المساء فحسب، ثم ينطلق المرء بعدها، في أرجاء الدنيا غافلاً لاهيًا، يفعل ما يريد دون قيد ولا محكم؛ كلا هذا تدين مغشوش، العلاقة الحقة، أن يذكر المرء ربه حيثما كان، وأن يكون هذا الذكر مقيدًا مسالكه بالأوامر والنواهي، ومشعراً الإنسان بضعفه البشري، ومعينًا له على اللجوء إلى خالقه في كل ما يعتريه.

لقد حث الدين الحنيف، على أن يتصل المسلم بربه، ليحيا ضميره، وتزكوَ نفسه، ويتطهر قلبه، ويستمد منه العون والتوفيق؛ ولأجل هذا، جاء في محكم التنزيل والسنة النبوية المطهرة، ما يدعو إلى الإكثار من ذكر الله عز وجل على كل حال؛ فقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ

﴿ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال جل شأنه: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» متفق عليه.

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله، قال: **ذكر الله عز وجل**» رواه أحمد.

وقال ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**» رواه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه.

عباد الله:

ذكر الله تعالى، منزلة من منازل هذه الدار، يتزود منها الأتقياء، ويتَّجرون فيها، وإليها دائماً يترددون، الذكر قوتُ القلوب الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه صارت دوراً بوراً، وهو السلاح الذي يقاتل به قطاع الطريق، والماء الذي يطفأ به لهب الحريق.

بالذكر أيها المسلمون، تُسْتَدَفعُ الآفات، وتُسْتكشَفُ الكربات، وتهون به على الـمُصَاب الملمات، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين.

فاللسان الغافل، كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. الذاكر الله، لا تدنيه مشاعر الرغبة والرهبة من غير الله، ولا تقلقه أعداد القلة

والكثرة، وتستوي عنده الخلوة والجلوة، ولا تستخفه مآرب الحياة ودروبها.

ذكر الله عز وجل، باب مفتوح بين العبد وبين ربه، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

إن الذنوب كبائرها وصغائرها لا يمكن أن يرتكبها بنوآدم، إلا في حال الغفلة والنسيان لذكر الله عز وجل؛ لأن ذكر الله تعالى، سبب للحياة الكاملة التي يتعذر معها أن يرمي صاحبها بنفسه في أتون الجحيم، أو غضب وسُخط الرب العظيم، وعلى الضد من ذلك، التارك للذكر، الناسي له، فهو ميت، لا يبالي الشيطان أن يلقيه في أي مزبلة شاء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وكان رجل رديف النبي ﷺ على دابة، فعثرت الدابة بهما، فقال الرجل: تعس الشيطان؛ فقال له النبي ﷺ **«لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنه عند ذلك يتعاظم حتى يكون مثل البيت، ولكن قل: بسم الله. فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب»** رواه أحمد وأبو داود وهو صحيح.

وحكى ابن القيم رحمه الله عن بعض السلف، أنهم قالوا: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه الإنسي، كما يُصْرَع الإنسان

إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي.

الإكثار من ذكر الله، براءة من النفاق، وفكاك من أسر الهوى، وجسر يصل به العبد إلى مرضاة ربه، وما أعده له من النعيم المقيم، بل هو سلاح مقدَّم، من أسلحة الحروب الحسية التي لا تثلم، فقد ثبت عن النبي ﷺ في فتح القسطنطينية: «**فإذا جاءوها نزلوا،فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرَّج لهم فيدخلوها فيغنموا.... الحديث**» رواه مسلم في صحيحه.

أيها الناس:

ذكر الله تعالى أشرف ما يخطر بالبال، وأطهر ما يمر بالفم، وتنطق به الشفتان، وأسمى ما يتألق به العقل المسلم الواعي، والناس بعامة قد يقلقون في حياتهم أو يشعرون بالعجز أمام ضوائق أحاطت بهم من كل جانب، وهم أضعف من أن يرفعوها إذا نزلت، أو يدفعوها إذا أوشكت، ومع ذلك فإن ذكر الله عز وجل، يُحْيي في نفوسهم استشعار عظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وأن شيئًا لن يفلت من قهره وقوته، وأنه يكشف ما بالمُعَنَّى إذا ألم به العناء، حينها يشعر الذاكر بالسعادة وبالطمأنينة يغمران قلبه وجوارحه ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

أيها المسلم الكريم:

لا تخش غمًا، ولا تشكُ همًا، ولا يُصبك قلق، ما دام قرينك هو ذكر الله. يقول جل وعلا في الحديث القدسي: « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في**

ملأٍ ذكرته في ملأ خير منهم » رواه البخاري ومسلم.

واشتكى علي وفاطمة رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ، ما تواجهه من الطحن والعمل المجهد، فسألته خادمًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم، إذا أويتما إلى فراشكما، فسبحا الله ثلاثًا وثلاثين، واحمداه ثلاثًا وثلاثين. وكبراه أربعًا وثلاثين؛فتلك مائة على اللسان وألف في الميزان**».

فقال علي رضي الله عنه: ما تركتها بعدما سمعتها من النبي ﷺ، فقال رجل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. رواه أحمد وليلة صفين: ليلة حرب ضروس دارت بينه وبين خصومه رضي الله عنهم أجمعين.

عباد الله:

لو كلف كل واحد منا نفسه، في أن يحرك جفنيه، ليرى يمنة ويسرة، مشاهد متكررة، من صرعى الغفلة وقلة الذكر، أفلا ينظر إلى ظلمة البيوتات الخاوية من ذكر الله تعالى، أولا ينظر إلى المرضى والمنكسرين، أوكلهم الله إلى أنفسهم لما نسوه، فلم يجبروا عظمًا كسره الله، وازدادوا مرضًا إلى مرضهم، أولا ينظر إلى المسحورين والمسحورات، وقد تسللت إليهم أيدي السحرة والمشعوذين، والدجاجلة الأفاكين، فانتشلوا منهم الهناء والصفاء، واقتلعوا أطناب الحياة الهادئة، فخر عليهم سقف السعادة من فوقهم.

أو لا يتفكر الواحد منكم في أولئك المبتلين بمس الجان ومردة الشياطين يتوجعون، ويتقلبون تقلب الأسير على الرمضاء، تتخبطهم الشياطين من المس فلا يقر لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال، أرأيتم عباد الله، لو كلف كل واحد منكم نفسه بهذا، أفلا يسائل نفسه أين هؤلاء البؤساء من

ذكر الله عز وجل؟! أين هم جميعًا من تلك الحصون المكينة، والحروز الأمينة، التي تعتقهم من عبودية الغفلة والأمراض الفتاكة؟!!أما علم هؤلاء جميعًا، أن لدخول المنزل ذكرًا وللخروج منه؟! أما علموا أن للنوم ذكرًا وللاستيقاظ منه؟! أوما علموا أن للصباح من كل يوم ذكرًا، وللمساء منه؟!بل حتى في مواقعة الزوج أهله، بل وفي دخول الخلاء -أعزكم الله- والخروج منه؟ بل وفي كل شيء ذكر لنا منه الرسول ﷺ أمرًا، علمه من علمه وجهله من جهله.

والواقع أيها الناس، أنه إنما خذل من أمثال هؤلاء الغافلين، لأنهم على عجزهم وضعفهم، ظنوا أنفسهم شيئًا مستقلاً، لا سباق لهم في ميدان ذكر الله، بينما نجد آخرين عمالقة في قوتهم، وهم مع ذلك، يرون أنفسهم صفرًا من دون ذكر الله تعالى، فكانت النتيجة أن طرح الله البركة واليمن على من ذكروه، فنجوا وأفلحوا، ورفع رضوانه وتأييده عمن اعتز بنفسه، فتركه مكشوف السوأة عريان العورة.

وفي حضارتنا المعاصرة، كثر المثقفون، وشاعت المعارف الذكية، ومع ذلك كله، فإن اضطراب الأعصاب وانتشار الكآبة داء عام. ما الأمر وما السبب في ذلك؟ إنه خواء القلوب من ذكر الله، إنها لا تذكر الله كي تتعلق به وتركن إليه، بل كيف تذكر، من تتجاهله؟!!

إن الحضارة الحديثة، والحياة المادية الجافة، مقطوعة الصلة بالله إلا من رحم الله، والإنسان مهما قوي فهو ضعيف، ومهما علم فعلمه قاصر وحاجته إلى ربه أشد من حاجته إلى الماء والهواء، وذكر الله في النوازل عزاء للمسلم ورجاء ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. ولو تنبه المسلمون لهذا، والتزموا الأوراد والأذكار، لما تجرأ بعد ذلك ساحر، ولا احتار مسحور، ولا قلت بركة، ولا تكدر صفو، ولا تنغص هناء.

عباد الله:

هناك من الناس من يذكرون الله، ولكنهم لا يفقهون معنى الذكر. فتصبح قلوبهم بعيدة عن استشعار جلال الله، وقدره حق قدره، وذكر الله عز وجل، كلام تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، غير أن الناس مما ألفوا منه، وما جهلوا من معناه، لا يرددونه إلا كما يرددون كلامًا تقليديًا، وإلا فهل فكر أحد في كلمة «الله أكبر» التي هي رأس التكبير وعماده، وهي أول ما كلف به الرسول ﷺ حين أمر بالإنذار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر: ١ - ٣].

إنها كلمة عظيمة، تحيي موات الأرض الهامدة، لصوتها هدير كهدير البحر المتلاطم، أو هي أشد وقعًا.

إنها كلمة، ينبغي أن تدوي في أذن كل سارق وناهب؛ لترتجف يده، ويهتز كيانه. وكذا تدوي، في أذن كل من يهم بإثم أو معصية، ليقشعر ويرتدع، وينبغي أن تدوي في أذن كل ظالم معتد متكبر، ليتذكر إن كان من أهل الذكرى، أن هناك إلهًا أقوى منه، وأكبر من حيلته واستخفافه ومكره، أخذه أقوى من أخذ البشر ومكرهم وخديعتهم، فالله أكبر، الله أكبر كبيراً.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، واتق الله أيها المسلم الغافل، فإن كنت بعد هذا، قد أحسست أنك ممن قد فقد قلبه بسبب غفلته، فلا تيأس من وجوده بذكر الله، فقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتننانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، واعلموا وفقكم الله، أن لسائل أن يسأل: ما بال ذكر الله سبحانه، مع خفته على اللسان وقلة التعب منه، صار أنفع وأفضل، من جملة العبادات مع المشقات المتكررة فيها؟

فالجواب: هو أن الله سبحانه جعل لسائر العبادات مقدارًا، وجعل لها أوقاتًا محدودة، ولم يجعل لذكر الله مقدارًا ولا وقتًا، وأمر بالإكثار منه بغير مقدار، ولأن رؤوس الذكر هي الباقيات الصالحات؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**خذوا جنتكم. قلنا: يا رسول الله، من عدو قد حضر؟ قال: لا، جُنَّتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإنهن يأتين يوم القيامة مُنجَبَّات ومَقدِّمات وهن الباقيات الصالحات**» رواه الحاكم وصححه.

ثم ليعلم كل مسلم صادق، أن المؤثر النافع، هو الذكر باللسان على الدوام، مع حضور القلب؛ لأن اللسان ترجمان القلب، والقلب خزانة مستحفظة الخواطر والأسرار، ومن شأن الصدر، أن ينشرح بما فيه من ذكر،

ويلذّ إلقاءه على اللسان، ولا يكتفي بمخاطبة نفسه به في خلواته حتى يفضي به بلسانه، متأولا قول الله عز وجل: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فأما الذكر باللسان، والقلب لاه، فهو قليل الجدوى، قال رسول الله ﷺ: «**اعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه**» رواه الحاكم والترمذي وحسنه. وكذا حضور القلب في لحظة بالذكر، والذهول عنه لحظات كثيرة، هو كذلك قليل الجدوى؛ لأن القلبَ لا يخلو من الالتفات إلى شهوات الدنيا، ومن المعلوم بداهة أن المتلفت لا يصل سريعًا؛ ولذا فإن حضور القلب على الدوام أوفي أكثر الأوقات هو المقدم على غيره من العبادات؛ بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية.

ولذا فإن رسول الله ﷺ حذر من أن تنفض المجالس دون أن يذكر الله عز وجل فيها بقوله: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة**» رواه أبو داود والحاكم.

فهذا رسول الله ﷺ يمقت مجالس الغافلين، وينهى عن كل تجمع خلا من ذكر الله، وأن المجالس التي يُنْسَى فيها ذكر الله، وتنفض عن لغط طويل، حول مطالب العيش، وشهوات الخلق، في تهويش وتشويش، وهمز ولمز؛ هي مجالس نتنة، لا شيء فيها يستحق الخلود، إنما يخلد ما اتصل بالآخر سبحانه وتعالى، ولذا فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «**من جلس في مَجَلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك**» رواه الترمذي وابن ماجه.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

الخطبة الأولى

الحمد لله ، الذي أعلى كرامة بني الإنسان، وجعلهم خلفاءه في الأرض، كتب على نفسه الرحمة وأزال عن الناس بدينه الغمة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أبدع الكون بقدرته، وملك الخلق بربوبيته، خلت الطرق كلها إلا طريقه، وفسدت المشارب طرًا إلا رحيقه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله ﷺ ، وصفيه وخليله، نشر الرحمة والتراحم بين الناس، فما أمر حتى أقنع، وما بنى حتى جمع، فكان سيد الرحماء، وإمام الحكماء، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الأخيار البررة، وصحابته والتابعين لهم بإحسان:

أما بعد:

فيا عباد الله، قرة عين المؤمن وطمأنينة قلبه تبدو واضحة جلية في تقواه لربه؛ فإن تقوى الله هي أساس كل صلاح، وسلوان كل كفاح،

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المسلمون:

الأخلاق المثلى عماد الأمم وقوام الشعوب، وهي باقية ما بقيت أخلاقهم، هذه حقيقة مسلمة، لا ينازع فيها إلا مريض لم ينقه، أو مغرض لا يفقه، كما أن من المسلم أيضًا، أن تدهور الأخلاق ناجم عن نوس الوازع الديني في النفوس، الوازع الديني الزاجر، والمنجي من النهابر، الوازع الديني الذي يمتلك عنان النفس، ويسيطر عليها فيكبح جماحها، ويهتن دمعها، ويغسلها بالنقاخ، الذي يبرد الفؤاد.

وإن من أعظم الأخلاق المندوبة، والسجايا المطلوبة، خلق الرحمة والتراحم بين المسلمين. ولا غرو؛ إذ هو مفتاح القبول لدى القلوب، ولا جرم، أن فقدان الرحمة بين الناس، فقدان للحياة الهانئة، وإحلال للجاهلية الجهلاء، والأثرة العمياء.

ولقد نالت الجاهلية من الرحمة أقسى منال، حتى وكأنما وأدتها في مهدها، ولقد كشف الله في كتابه عن فئام من الناس والأمم، ممن فقدوا الرحمة، وكأنما قدَّت قلوبهم من صخر صلد، تمثلت هذه الغلظة والقسوة، في أصحاب الأخدود، الذين أضرموا النيران، وخدوا الأخاديد في أفواه السكك، وجنبات الطريق، وكان ذلك حينما آمن الناس بما جاء به الغلام المؤمن، فكان من لم يرجع عن دينه يقحم في النار، فتنهش جسده نهشًا، حتى لا يرى إلا فحمة أو رمادًا، ولقد جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع في النار، فقال لها الغلام: « يا أماه، اصبري فإنك على الحق » القصة رواها مسلم في صحيحه .

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [الفجر: ٤-٨].

لقد كشف الله في كتابه عمن فقد الرحمة وانقض عليها، فلم يرع حق أم ولا رضيع، ولم يدع صغيراً ولا كبيراً في عافية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٠-١٤].

قال أبو رافع: أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحًا عظيمة حتى ماتت. ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص: ٨]. ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

[القصص: ٤١].

لقد كشف الله في كتابه العزيز، عن ممارسات شاذة، ممن فقدوا الرحمة أو أماتوها، وعن مكائد خبث، تقود يهود بني إسرائيل، الذين هم أكثر البشر قسوة وفظاعة، وقلوبهم كالحجارة الصماء، بل هي أشد قسوة منها ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]، فكشف الله خبهثم، وبين أنهم قتلة ومردة، من قديم الزمان: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢]. وبما فعله يهود؛ يحكم الله عليهم باللعنة، والحرمان من الرحمة ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

عباد الله:

إن الله جل وعلا حينما بعث رسله جعل تمكين الأخلاق الفاضلة في النفوس أصلاً من أصول رسالاتهم، وأساسًا من أسس دعواتهم، وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هو من قال فيه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**» رواه أحمد والبخاري في الأدب والحاكم وصححه.

لقد تجلت رحمة المصطفى ﷺ، في جوانب كثيرة من حياته، حتى لقد أصبحت سمة بارزة. لا يحول دونها ريبة أو قتر، في كل شأن من شئونه، فهو عطوف رحيم أرسله إلى البشرية رحمن رحيم، وأنشز لحمه وبل عروقه، إملاج حليمة السعدية له، فكان له من اسمها الحلم والسعادة. أخرج مسلم في صحيحه: أن رسول ﷺ تلا قول الله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وتلا قول عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي وبكى**، فقال الله عز وجل: **يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك** فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله: **يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**». الله أكبر ما أعظم المصطفى ﷺ، وما أرحمه بأبي هو وأمي.

لقد تجلت رحمة المصطفى بأمته، حتى بلغت تعليم الجاهل، وتوجيه

الغافل، ومناغاة العيال والصبيان، أقسمت بنت من بناته ﷺ ليأتينها لأجل ابن لها قبض، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، ونفسه تتقعقع، ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: « **هذه رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** » رواه البخاري.

إن رحمة المصطفى ﷺ لم تقف عند هذا الحد فحسب، بل لقد حوت رحمته طبقات المجتمع كلها، أرامل وأيتام، نساء ومساكين، صغاراً وكباراً، ولم يقتصر ذلك على فعله، بل عداه بقوله: « **الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » رواه أبو داود والترمذي.

وقال ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** »رواه مسلم. وقال في التحذير من الإشفاق على الناس، ونزع الرحمة عنهم، والنغرة عليهم: « **اللهم من ولي من أمر المسلمين شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر المسلمين شيئًا فرفق بهم فارفق به** »رواه مسلم.

لقد تجلت رحمة المصطفى ﷺ بالخلق، فتعدت نطاق البشرية إلى نطاق الحيوانات العجماوات، فلقد دخل ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأي النبي ﷺ حن الجمل وذرفت عيناه؛ فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: « **من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاءه فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال له: « **أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتؤذيه** » رواه أبو داود.

فيا لله العجب! حتى البهائم ألهمت أن الرسول ﷺ رحمة مهداة، وأنه نبي المرحمة. فأين أنتم عباد الله من قصة هذا الجمل، أين أنتم من إيذاء تلك البهائم، ناهيكم عن إيذاء البشر والاستخفاف بهم، أين أنت يا راعي الغنم؟ أين أنت يا سائق الإبل؟ أين أنت يا راعي الأسرة؟ أين أنت يا راعي المدرسة؟وأنت يا راعي الوظيفة؟ اتقوا الله جميعًا فيمن استرعاكم ولئن كان المصطفى ﷺ قد مات، فلا تصل البهيمة بالشكوى إليه، أو البشر بطلب النصرة منه، فإن ربه حي لا يموت، يراكم ويسمعكم، ولكن يؤخركم إلى أجل لا ريب فيه ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

بتجلى خلق الرحمة في ذات المصطفى ﷺ عالج محو الجاهلية، وقطع ظلامها، بأنوار الرحمة والعطف، فكفكف من نزوات الجاهلية، وقسوة قلوبها، وأقام أركان المجتمع، على دعائم الرحمة والشفقة وحسن التخلق، واستنشاق النفنف من محاسن الشريعة. وإن كمال العلم في الرحمة، ولين الكلام مفتاح القلوب، يستطيع المسلم من خلاله، أن يعالج أمراض النفوس، وهو مطمئن القلب، رخي البال، وإلا انفض الناس من حوله، فعاشوا جهالاً وماتوا جهالاً، وذلك هو الشقاء، وهو سببه وعلته.

عباد الله:

في طوايا الظلام، تدرس الأخلاق كما يدرس وشيُ الثوب، بله ما كان في الصالحين المخلصين. لقد طغى طوفان المادة الجافة، فأغرق جسوم الرحمة إلا ما انملص منه. ولقد بدت نواعير الحياة عند البعض: « إن لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب، وإن لم تجهل يجهل عليك، وإن لم تتغدى بزيد

تعشى بك» بل لقد صور العالم لدى البعض، أنه دنيا فسيحة، يحدها من الشرق الرغيف، ومن الغرب الدينار، ومن الشمال الجاه، ومن الجنوب الشيطان.

لقد رجعت بعض النفوس مُندَّاة الجسم بعرق القسوة والغلظة، وإذا تندت الجسوم، وجب نزع المبلول، وإلا فهي العلة ما منها بد، وهي ناغلة النفوس.

ما أشدَّه مضضًا، ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم، إن أمرها ليذهب فرطًا، وإن الغفلة قد بلغت من الناس مبلغ من يظن أنه حي في الحياة، فلا تجد إلا قلبًا أيَّر وصدرًا وَحَرًا، ولسانًا ولقًا ينصنص. إلا من عصم ربي وقليل ما هم.

لقد مضى عهد السلف الصالح، فسخفت الحياة من بعدهم، وصاروا ككتب قد انطوت على حقائقها، وختمت كما وضعت، لا يستطيع أحد، أن يخرج للناس من حقيقتهم نصف حقيقة، ولا شبه حقيقة، ولا تزويرًا على حقيقة، إنما هي لا غير، الحقائق كلها قد اكتنفوها. ولقد أثبتوا بتجلي الرحمة في قلوبهم، بأنه ليس في نفوسهم وطباعهم إلا الإخلاص، وإن كان حرمانًا لا المذَقَ، وإلا المروءة، وإن كانت مشقة، وإلا محبة الصادقين وإن كانت ألمًا، وإلا الجد وإن كان عناء، وإلا القناعة وإن كانت فقرًا.

إن من النجاة الفكرَ في البلاء، والتنطسَ في الأمور، وإذا نُبهت العزيمة تغلغل أثرها في البدن كله، فيكون علاجًا يحدث به النشاط، ويرهف منه الطبع، وتجم عليه النفس، وإن هذا لهو الدواء إذا استشرى الداء، وهو النصر حين تخذل القوة.

إن النفس، ينبغي أن تُعْنَتَ بعد كل كمال فيما هو أكمل منه، وبعد المهاه فيما هو الأحسن، وأن تستحثَّ من كل هجعة راحة بفجر نصب جديد.

ولو أدرك المسلم أن أول حق للمسلمين عليه، أن يحمل في نفسه معنى الناس، لا معنى نفسه، لعلم أن من فاق الناس بنفسه الكبيرة دون تميُّس، كانت عظمته في أن يفوق نفسه الكبيرة.

إن الناس أحرار، متى حكمتهم معاني الرحمة والشفقة، والتواد والتعاطف، تحت ظل الإسلام الوارف، قال ﷺ: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى** » رواه مسلم.

وبذلك كله، يتصل ما بين العظيم والسوقة، وما بين الغني والفقير، اتصال الرحمة في كل شيء، أما ربط الرحمة والتراحم بالدينار والدرهم، في مقابل استبعاد تلك المعاني الحيوية، التي ينبغي أن تسود المجتمع، فهو المائج بالحياة بعضها في بعض، وهو الذي يقلب الموازين، ويجعل الصحيح والفاسد، في ملك الإنسان لا في عمله، وتكون المنفعة الذاتية، هي الآمر الناهي، فيرى كل إنسان كأنما ديناره ودرهمه، أكبر قيمة من دينار الآخر ودرهمه، فإذا أعطى نقص فغش، وإذا استنضَّ، زاد فسرق، ويتعامل الناس في التعاطف والتراحم، على أساس من المعدة لا من الروح، وتكون يقظة التاجر، من غفلة الشاري.

فإذا عظَّمت الأمة الدينار والدرهم، فإنما تمزمز النفاق والطمع والقسوة، وإنما هيبة الإسلام في الرحمة بالنفس لا بالمال، وفي بذل الحياة، لا في المعك فيها، وفي أخلاق الروح لا في أخلاق اليد، وفي وضع حدود الفضائل بين الناس، لا في وضع حدود الدراهم، وفي جعل أول الثروة

الرحمة والشفقة، لا الذهب والفضة، هذا هو الإسلام الذي غلب الأمم؛ لأنه قبل ذلك غلب المطيطاء والقسوة والجشع.

والسلف الصالح، خير من ترجم معاني الرحمة إبان عيشهم، فها هو الصديق أبو الصديقة، خليفة رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، الذي جبل نفسه على الرحمة والتراحم، منذ نعومة أظفاره، وما سمي بالعتيق، إلا لكثرة ما يعتق من العبيد رحمة بهم، وإنقاذًا لهم من سطوة غلاظ الأكباد وشرار الخلق، كان رضي الله عنه يتعهد امرأة عمياء في المدينة، يقضي لها أشغالها سرًا، إبان خلافته للمسلمين، كما أنه كان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا. فسمعها فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه.

ولقد بلغت الرحمة مجلاة أوج صورها، في الخليفة الفاروق رضي الله عنه، الذي بلغ من القسوة والغلظة في جاهليته أعظمها، فلما ذاق طعم الإيمان، انقلبت نفسه رأسًا على عقب، وكأنه لم يكن قط قاسي النفس، غليظ القلب، فلما ولي الخلافة، خطب الناس مطمئنًا لهم قائلاً:

« اعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يعتدي عليه، حتى أضع خده وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، وإني بعد شدتي تلك، أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف» ، فرحم الله عمر الفاروق رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أن المرء المسلم، مطالب بالرحمة

والتراحم، بما استطاع من تحلم وتصبر، وعليه أن يترفق أولاً في أهله، وثانيًا في رعيته وجيرانه، ومواطنيه وموظفيه، فلا يكون عونًا لزوجته على النشوز، ولا لأبنائه على العقوق، ولا لجيرانه على الإساءة، ولا لرعيته على التمرد، ولا للناس كافة، على هجره ومباغضته.

واعملوا بمثل قول المصطفى ﷺ : « **إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط** » رواه أبو داود، وحذار من الوقوع فيما حذر منه المصطفى ﷺ بقوله: « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا** »» رواه أبو داود.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأتباعه وإخوانه.

أما بعد؛ فيا أيها الناس:

لقد تجلت رحمة الله تعالى بالبشرية في شهر الله المحرم، بأن نجى الله كليمه موسى من كيد فرعون وجنوده، فنبذه الله في اليم وهو مليم، وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو يوم له فضيلة عظيمة، وحرمة قديمة، شرع المصطفى ﷺ صيامه. وقد صامه موسى عليه السلام شكرًا لله عز وجل، وصامه نبينا ﷺ وأمر بصيامه.

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: « **فنحن أحق وأولى بموسى منكم**، فصامه وأمر بصيامه » وقال عنه ﷺ: « **أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله** » رواه مسلم .

وتأصيلاً لقاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهي مخالفة اليهود والنصارى المشركين، وقطعًا لمادة التشبه بهم من كل طريق، عزم

المصطفى ﷺ في آخر عمره على ألا يصومه مفردًا مخالفةً لأهل الكتاب فقال : « **فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ** » رواه مسلم .

فيستحب لكم أيها المسلمون صيام هذا اليوم ، اقتداءً بالنبي ﷺ ، وكل خير في اتباع ما جاء به، وكل شر في ابتداع ما لم يأت به .

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

حاسبوا أنفسكم

الخطبة الأولى

الحمد لله، الواصل الحمد بالنعم، والنعم بالشكر، نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه، ونستعينه على نفوسنا البطاء عما أمرت به، السراع إلى ما نهيت عنه، ونستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر، وكتاب غير مغادر، خلق الإنسان وبصره بما في الحياة من خير وشر ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ فإن تقوى الله دار حصن عزيز، تمنع أهلها وتحرز من لجأ إليها، وبها تقطع حُمة الخطايا، فهي النجاة غدًا، والمنجاة أبدًا.

أيها الناس:

إن للأمم مع نفوسها غفوة تعقبها غفوات، وللأفراد المنفردين كما للأمم والشعوب، سواءً بسواء، وإذا كانت غفوة الفرد تعد بالساعات، فإن غفوة الأمم تعد بالسنين؛ لأن السنة في حياة الأمة تقوم مقام اليوم أو بعضه في حياة فرد من الأفراد.

وحينما تتعرض الأمم للنكبات تزلزلها وتبلبلها، يكون من المتحتم على أفرادها ومجتمعاتها، أن يعودوا إلى أنفسهم؛ ليتبينوا مواضع أقدامهم، ويبصروا مواقع خطواتهم؛ لأنهم يصبحون حينئذ، في أشد الحاجة إلى عملية تجديد، أو بناء جديد؛ حتى تعود نفوسهم لبنات صالحة، لإقامة صرح الأمة المشيد، ولذلك يقول الحق جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]. ويقول جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. ويقول المصطفى ﷺ: «عليك بخاصة نفسك» أخرجه الأربعة إلا النسائي وحسنه الترمذي.

عباد الله:

إن الفساد في الدنيا، إنما يكون ظاهراً جليًا، حينما لا يتوقع المجتمع حسابًا؛ لا يتوقع حسابًا من رب قاهر، أو من ولي حاكم، أو من مجتمع محكوم، أو من نفس لوَّامة. وحينما لا يتوقع المجتمع حسابًا على تصرفاتهم، فإنهم ينطلقون في حركاتهم كما يحبون، ويموجون كما يشتهون، وكما تهوى أنفسهم، فيتقلبون على الحياة ودروبها، بلا زمام ولا خطام، فيتشبهون بأهل النار من حيث يشعرون أو لا يشعرون ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ [النبأ: ٢٧، ٢٨]. فهؤلاء لم يكونوا مؤمنين بالمحاسِب، ولا مؤمنين بالمحاسَب.

لو أن الأمم والمجتمعات، يخبطون في الدنيا خبط عشواء، ويتصرفون على

ما يحلو لهم دون معقب أو حسيب، لجاز ـ على تفريط وحمق ـ أن يبعثروا حياتهم، كما يبعثر السفيه ماله، فكيف ولله حفظة يدونون مثقال الذرة؟ ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف: ٤٩]. والذي ينبغي على الناس بعامة، أن يكونوا على وعي وبصيرة، بمقدار ما يفعلون من خطأ وصواب.

والحق أن هذا الانطلاق، في مهامه الحياة، أفرادًا وجماعات، دون اكتراث بما كان وما يكون، أو الاكتفاء بنظرة خاطفة لبعض الأعمال البارزة أو الأعراض المخوِّفة؛ الحق أن ذلك نذير شؤم والعياذ بالله، وقد عده الله في كتابه الكريم من الأوصاف التي يعرف بها المنافقون الذين لا كياسة لديهم، ولا يقين لهم ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

إن العقول السوية، والفطر السليمة، لن تخرج عن إطارها، إذا اعتبرت النفس الصالحة، هي البرنامج الوحيد لكل إصلاح، وأن ترويضها للاستقامة، وتذليلها للطاعة، هو الضمان الحي، لكل حضارة ورفعة، وإن النفس إذا اختلت وزلت، أثارت الفوضى في أحكم النظم، والبلبلة في كنف الهدوء، واستطاعت النفاذ من ذلك إلى أغراضها الدنيئة، ومطامعها المريبة والنفس الكريمة، تُرقع الفتوق في الأحوال المختلفة، ويشرق نُبْلها من داخلها، فتحسن التصرف والمسير وسط الأنواء والأعاصير.

إن القاضي المسلم النزيه، يكمل بعدله وتقواه نقص المتداعين الغششة. والقاضي الجائر، يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة، وليّ أعناقها لتحقيق رغباته، وإشباع شهواته، وقائد القاضين كليهما، هي النفس ﴿ وَنَفْسٍ

وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

أيها الناس:

إن أعجب الأشياء مجاهدة النفس ومحاسبتها؛ لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة، وقدرة رهيبة، فإن أقوامًا أطلقوها فيما تحب؛ فأوقعتهم فيما كرهوا وإن آخرين بالغوا في خلافها حتى ظلموها ومنعوها حقها، وأثر ظلمهم لها في تصرفاتهم وتعبداتهم. ومن الناس من أفرد نفسه في خلوة وعزلة، أثمرت الوحشة من الناس، وآلت إلى ترك فرائض أو فضل من عيادة مريض أو بر والدة، وإنما الحازمُ المُحكِم، من تعلم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فالمحقق المنصف، هو من يعطيها حقها ويستوفي منها ما عليها. وإن في الحركة بركة، ومحاسبة النفس حياة، والغفوة عنها لون من ألوان القتل صبراً.

عباد الله:

لقد قال الله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

إن العبد المسلم، لن يبلغ درجة التقوى حتى يحاسب نفسه على ما قدمت يداه، وعلى ما يعقد عليه العزم من شؤونه في جميع الأمور، فينيب إلى الله مما اجترح من السيئات؛ ملتمسًا عفو الله ورضاه، طامعًا في واسع رحمته وعظيم فضله.

ومحاسبة النفس المؤمنة، سمة للمؤمن الصالح« **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني** ».

والذنوب واردة على كل مسلم، ولكن لا بد لها من توبة، ولا توبة

دون محاسبة، قال رسول الله ﷺ: « **كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**» رواه الترمذي. يتوب العبد بعد أن يحاسب نفسه، ويحاسب نفسه لينجو من حساب الآخرة، فإن الشهود كثير، ولا يملك العبد في الاحتيال من فتيل ولا نقير ولا قطمير ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١].

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤]. قال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله، وما أخبارها؟ قال: «**أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عملت كذا وكذا، في يوم كذا وكذا** » رواه أحمد وغيره. فنضَّر الله الخليفة الراشد ورضي عنه ذا الكلمة الراشدة، الراسمة طريق النجاح «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]».

إن ارتفاع النفس ونضوجها، لا يتكون فجأة، ولا يولد قويًا ناضجًا دون ما سبب، بل يتكون على مكث، ويَنْضُجُ على مراحل، وإن ترويض النفس على الكمال والخير، وفطامها عن الضلال والشر، يحتاج إلى طول رقابة، وكرات حساب، وإن عمارة دار جديدة على أنقاض دار خربة لا يتم طفرة، بارتجال واستعجال، فكيف ببناء النفس وإنشائها المنشأ السوي.

وإذا كانت النفس الرديئة دائمة الإلحاح على صاحبها، تحاول العوج بسلوكه بين الحين والحين، فلن يكفكف شرها علاج مؤقت، وإنما تحتاج إلى عامل لا يقل قوة عنها، يعيد التوازن على عجل إذا اختل، ألا وهو عامل المحاسبة.

إنه لا أشد حمقًا، ولا أغرق غفلة، ممن يعلم أنه يحصى عليه مثاقيل الذر، وسيواجه بما عمله من خير أو شر، ويظل في سباته العميق لاهيًا،

غير مستعتب لنفسه ولا محاسب لها، يمسي على تقصير ويصبح على تقصير، سوء يتلوه سوء، كذب وزور، غيبة ونميمة، حسد وتشفي، دجل وفجور، فجور في السلوك، وفجور في التطاول بالسوء، على من سوى نفسه وأهله.

قال أحد السلف رحمه الله: «من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه، دامت خسارته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته».

أيها المسلم رعاك الله: إن قهرتْك النفسُ بغلبتها، فَصُلْ عليها بسوط العزيمة، فإنها إن عرفت جدك أستأسرت لك، الدنيا والشيطان خارجان عنك، والنفس عدو مباطن لك، ومن أدب الجهاد ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾ [التوبة: ١٢٣]. إن مالت إلى الشهوات فألجمها بلجام التقوى، فإن رفعت نفسها بعين العُجب، فذكرها خساسة أصلها، فإنك والله ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك، لم تقدر على ذرة من العافية في بدنك، النفس مثل كلب السوء، متى شبع نام، وإن جاع بصبص إليك بذنبه. والمعلوم المشاهد، أنه متى قوي عزم المجاهدة للنفس لانت له بلا حرب، ولما قويت مجاهدة النبي ﷺ تعدت إلى كل من تعدَّى، فأسلم قرينه صلوات الله وسلامه عليه، والفاروق رضي الله عنه يشيد به المصطفى ﷺ **«إيه يا ابن الخطاب، والله ما رآك الشيطان في فج، إلا سلك فجًا غير فجك»** متفق عليه.

فيا أيها المسلم: بدل اهتمامك لك، باهتمامك بك، واسرق منك لك، فالعمر قليل، تظلم إلى ربك منك، واستنصر خالقك عليك، يأمرك بالجد، وأنت على الضد أبدًا تفر من الزحف، وما ارتقيت درج مجاهدة النفس ومحاسبتها، أتروم حينها الحصاد وأنت لم تبذر بعد. فإن

النفس لن تُرْضَى إذا لم ترض؛ لأنها سبع عقور، وإنما يراد الصيد لا العضوض.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

[النازعات: ٤٠، ٤١].

إن النفس إذا كانت تهوى وتشتهي، والمرء ينهاها ويزجرها، كان نهيه إياها عبادة لله تعالى يثاب عليها. قال ﷺ: « **المجاهد من جاهد نفسه**» الترمذي وقال: حسن صحيح. والمرء إلى جهاد نفسه، أحوج منه إلى جهاد الكفار، فإن هذا فرض كفاية، وجهاد النفس فرض عين، ومن جاهد النفس، لا يكون محموداً فيه إلا إذا غَلَب، بخلاف جهاد الكفار فإنه كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[النساء: ٧٤].

وأما المجاهد نفسه، فإذا غلب كان مذموماً ملوماً، ولهذا قال المصطفى ﷺ: « **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» رواه البخاري ومسلم.

فما أحرانا معاشر المسلمين، بالمحاسبة مع أنفسنا، ما أحرى وأحق أن يقف المسلم مع نفسه بذلك، مذكراً لها عما أسلفته بحق وصدق، معاتباً لها: ويحك أيتها النفس، ما دورك وما أشد غفلتك ووسنتك، ما موقفك من فرائض الإسلام وشعائر الدين وقضاياه، وما يتطلبه من جد وتضحيات؟!!

قال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا، ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان

له قائداً.

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن محاسبة النفس ميدان جهاد لا يحتاج إلى جيوش ولا مجنزرات، ولكنه يحتاج إلى جيش الهمة والعزيمة، ولابد لنا معشر المسلمين من معركة مع أنفسنا؛ لنصلح بعد ذلك، للمعركة مع أعدائنا ولنتذكر قول ربنا: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم....

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن النفوس ثلاث: نفس أمَّارة بالسوء، ونفس لوَّامة، ونفس مطمئنة. ولا شك أن أشر هذه النفوس، هي الأمارة بالسوء، الداعية إلى الضلال، المحرضة صاحبها على الانحراف، والاعتساف. والإنسان الغافل الضال، حينما تدركه رحمة خالقه، ينازع نفسه بعد طول شقاء، ويقاومها لينقلها من منبت السوء إلى منبت الخير، ويوقظ فيها صوت الضمير، فإذا هي نفس لوامة، تتفكر وتتدبر، وتعتبر فتنزجر، ثم تبلغ القمة والعلو، فإذا هي نفس مطمئنة، لا تزلزلها الأهوال، ولا الشدائد الثقال، فليت كل واحد منا يسائل ذاته: أين نفسي بين تلك النفوس الثلاث؟ وفي أي طريق تسير؟ أفي المقدَّم أم في المؤخَّر؟ أفي العلو أم في السفل؟ هل ساءلت نفسك أيها المرء فحاسبتها قبل أن تحاسب، هَلْ تَفَكَّرت فيها تَفَكُّر مُحَقق، هل نظرت إلى خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعًا، ولو كُشف للناس بعضها لاستحييت من قبحها وشناعتها، أف ثم أف لنفس مريضَة، إن نوظرت شمخت، وإن نوصحت

تعجرفت، وإن لاحت الدنيا طارت إليها طيران الرخم، وسقطت عليها سقوط الغراب على الجيف.

أين أنت أيها المسلم من ذلك المثل الرائع، الذي ضربه لمحاسبة النفس أبو الدرداء رضي الله عنه حيث جلس يبكي، وقد رأى دولة الأكاسرة تهوى على أقدام المسلمين، وأجاب من قال له: يا أبا الدرداء تبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله فقال أبو الدرداء: « ويحك يا هذا، ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة؛ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى ».

وقد حُمِّل ابن سيرين رحمه الله دينًا، فسئل فقال: إني لأعرف الذنب، الذي حمل به علي الدين ما هو؛ قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس !!.

الله أكبر أيها المسلمون. قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبنا فليس ندري من أين نؤتى. والجزاء من جنس العمل.

اللهم اعصمنا من شر الفتن، وعافنا من جميع البلايا والمحن، وأصلح منا ما ظهر وما بطن، ونق قلوبنا من الغل والحقد والحسد، ولا تجعل علينا تبعة لأحد من خلقك يا أرحم الراحمين.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

هادم البيوت (الطلاق)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، اتقوه حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم

إليكم فخذوا حذركم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

عباد الله:

يحكي واقع كثير من الناس اليوم، صوراً شتى من اللامبالاة، بقيم الألفاظ ودلالات الكلام وثمراته، ترى الكلمة تخرج من فم المرء، لا يلقي لها بالاً، ربما أهوت به في مسالك الضياع والرذيلة، استحقر بعضهم حجم الكلمات، واستنكف عن معانيها، وما علم أولئك، أن النار بالعيدان تذكى، وأن الحرب مبدأها كلام.

أيها الناس:

أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تكون معولاً صلبًا، يُهدَم به صرحُ أُسَرَ وبيوتات؟ أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تنقل صاحبها من سعادة وهناء، إلى محنة وشقاء؟ أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تحرك أفرادًا وجماعات، وتنشئ تزلفًا وشفاعات، لرأب ما صدَّعت وجمع ما فرقت؟ أتدرون أي كلمة هذه؟

إنها كلمة أبكت عيونًا، وأجهشت قلوبًا، وروعت أفئدة، إنها كلمة صغيرة الحجم، لكنها جليلة الخطب، إنها كلمة ترعد الفرائص بوقعها، وتقلب الفرح ترحًا والبسمة غصة، إنها كلمة الطلاق، إنها كلمة الطلاق، وما أدراك ما الطلاق! كلمة الوداع والفراق، والنزاع والشقاق، فلله كم هدمت من بيوت للمسلمين، وكم قطعت من أواصر للأرحام والمحبين، يا لها من ساعة رهيبة، ولحظة أسيفة، يوم تسمع المرأة طلاقها، فتكفكف دموعها، وتودع زوجها، يا لها من لحظة تجف فيها المآقي، حين تقف

المرأة على باب دارها، لتلقي النظرات الأخيـرة، نظرات الوداع على عش الزوجية، المليء بالأيام والذكريات، يا لها من لحظة عصيبة، حين تقتلع السعادة أطنابها، من رحاب ذلك البيت المسلم المبارك.

عباد الله:

العشرة الزوجية ضرب خاص من المحبة في النفس، ليس له في أنواعه ضريب، فهو الذي يسكن به الزوجان، وهو الذي يلتقي به بشران، فيكون كل منهما متممًا لوجود الآخر، ينتجان بالتقائهما بشرًا مثلهما ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢].

إن اختلال العشرة بين الزوجين، يذكي نار الفرقة، وكثرة الخصام تضرم أوارها، ولو أحب الأزواج أنفسهم حبًا صادقًا، وسكن بعضهم إلى بعض، لوادَّ كل منهما الآخر، ووادَّ لأجله أهله وعشيرته؛ لأن المودة بين الزوجين سبب من أسباب سعادة العشيرة، وسعادة العشيرة سعادة للأمة المؤلفة من العشائر، المؤلفة من الأزواج، فهذا التآلف والتأليف، هو الذي يتكون منه مزاج الأمة، فما يكون عليه من اعتدال وكمال، يكون كمالاً في بنية الأمة واعتدالاً، وقرة عين لمجموعها، وما يطرأ عليه من فساد واعتلال، يكون مرضًا للأمة، يوردها موارد الهلكة، فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأمته، قال رسول الله ﷺ: « **خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي** » أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

عباد الله:

لقد قال المصطفى ﷺ في الحديث المشهور: « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** » متفق عليه.

هذه هي الزوجة التي يحث الشارع على تحصيلها والرضا بها، ويدعو

على من أراد غيرها، وزهد فيها ورغب عنها، ومن المعلوم بداهة؛ أنه لا يرغب الظفر بذات الدين، إلا من كان قلبه معلقًا بالدين، وكانت نفسه من النفوس الزكية، ومن هذه حاله، فلا غرو أن يرزق المودة بينه وبين زوجه؛ لأنها من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات الفاضلة، وعلى العكس من ذلك، المشاكلة في الصفات الرديئة، والسجايا الدنيئة، فهي لا تثمر محبة، ولا تورث توددًا.

قال رسول الله ﷺ: « **خير متاع الدنيا المرأة الصالحة** »رواه مسلم.

إنه متى كان الدين بين كل زوج وزوجته، فمهما اختلفا وتدابرا، وتعقدت نفساهما، فإن كل عقدة من العقد لا تجيء إلا ومعها طريقة حلها ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وهو اليسر والمساهلة، والرحمة والمغفرة، وهو العهد والوفاء، وهو اتساع الذات، وارتفاعها فوق ما تكون به منحطة أو وضيعة.

ومن كانت هذه حاله، فلن يستنكف أن يكون ممتثلاً لما خوطب به من قول المصطفى ﷺ: « **لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها** » أخرجه الترمذي وهو صحيح. وقوله ﷺ: « **استوصوا بالنساء خيرًا**» متفق عليه.

وثمرة الدين في المرأة يظهر في مثل قول عائشة رضي الله عنها « يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها».

فما أجهل الرجل يسيء معاشرة امرأته، وما أحمق المرأة تسيء معاملة بعلها.

أيها الناس:

الطلاق!! كلمة، لا ينازع أحد في جدواها، وحاجة الزوجين إليها، حينما يتعذر العيش تحت ظل واحد، وإذا بلغ النفور بينهما مبلغًا، يصعب معه التودد، فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والإحسان، كما اجتمعا بهذا القصد ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

إن الله عز وجل لم يخلق الزوجين بطباع واحدة، والزوجان اللذان يظنان، أنهما مخلوق واحد، يعيشان في أوهام؛ إذ كيف يريد منها زوجها أن تفكر برأسه، وكيف تريد هي منه، أن يحس بقلبها ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

إن النسيم لا يهب عليلاً داخل البيت على الدوام، فقد يتعكر الجو، وقد تثور الزوابع، وإن ارتقاب الراحة الكاملة نوع وَهْم، ومن العقل توطين النفس على قبول بعض المضايقات، وترك التعليق المرير عليها.
﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]. وقال رسول الله ﷺ: « **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر** » رواه مسلم.

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرة   يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

بيد أن بيوتات كثيرة فقدت روح التدين، فهي تتنفس في جو من الشراسة والنكد، واكتنفتها أزمات عقلية وخلقية واجتماعية، فقد تطلق المرأة اليوم، في رطل لحم، علق الرجل به طلاقها إن قامت بشرائه، فيخبط هؤلاء خبط العشراء، ويتصرفون تصرف الحمقى؛ فيقعون في الإثم والحيف.

عباد الله:

لقد كثر الطلاق اليوم، لما فُقِدَتْ قوامة الرجل في بعض المجتمعات، إبان غفلة وتقهقر عن مصدر التلَقي من كتاب وسنة، وركن فئام من الناس إلى مصادر مريضة، قلبت مفاهيم العشرة، وأفسدت الحياة الزوجية، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وتولى كبر تلك المفاهيم الإعلام بشتى صوره، من خلال مشاهدات متكررة يُقَعَّد فيها مفاهيم خاطئة، ومبادئ مقلوبة في العشرة الزوجية، حتى وضع بعض الزوجات تاريخهن.

ولرب منظر يشهده ألف امرأة بمرة واحدة، فإذا استقر في وعيهن، وطافت به الخواطر والأفكار، سلبهن القرار والوقار، فمثلنَّه ألف مرة، بألف طريقة، في ألف حادثة، فلا تعجبوا حينئذ إذا استأسد الحمل، واستنوق الجمل، والعجب كل العجب، أنه في ثنايا المناقشة يقرر الإعلاميون أن دور الإعلام مع المرأة، إنما هو كالتلقيح بمصل بعض الأدواء المعدية، والتسليم بميكروبها، بزعم أنها تكسب صاحبها مناعة، تقيه من أن يُعدي بوبائها.

وحقيقة الأمر أنهم بالذي وضعوا زادت العقد، وإن ما يذكره الإعلاميون، هو التعرض لعدوى الوباء في عنفوان شدته. وصدق من قال.

وكانت دوائي وهي دائي بعينه   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

والواقع أيها المسلمون: أن داخل البيت المسلم يتأثر بخارجه، وتيارات الميوعة والجهالة إذا عصفت في الخارج، تسللت إلى الداخل، فلم ينج من بلائها إلا من عصم الله.

الحياة الزوجية، حياة اجتماعية، ولابد لكل اجتماع من رئيس يُرجع إليه عند الاختلاف في الرأي والرغبة. والرجل أحق بالرياسة؛ لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ، بما أودع الله فيه من ذلك، وإن ما تتلقنه المرأة من الأجواء المحيطة بها، على منازعة الرجل قوامته، لمن الانحراف

الصرف، والضلال المبين.

وإن قوامة الرجل في بيته لا تعني منحه حق الاستبداد والقهر، فعقد الزوجية، ليس عقد استرقاق، ولا عقد ارتفاق لجسد المرأة، إنه أزكى من ذلك وأجل.

وكل من الزوجين بشر تام، له عقل يتفكر به، وقلب يحب به ويكره، فوجب الحق للمرأة حتى مع قوامة الرجل ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. كما أن قوامة الرجل، لا تعني استغناءه عن زوجه، فالله عز وجل يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

عباد الله:

لقد كثر الطلاق اليوم، لما صار المطلّق أحد رجلين: إما رجل أعمل سلطته وأهمل عاطفته؛ فكان في بيته سيدًا، ولكنه لم يذق طعم المحبة والسعادة، ولا عرف الصفاء والهناء. وإما رجل تبع عاطفته فأطاعها، وأهمل سلطته فأضاعها، فعاش في داره عبدًا رقيقًا.

لقد كثر الطلاق اليوم لما كثر الحسدة والواشون، فنكّسُوا الطباع، وعكسوا الأوضاع، وصيروا أسباب المودة والالتئام، عللاً للتباغض والانقسام. ولربما كان لأهل الزوجين مواقف ظاهرة، بدت سببًا مباشرًا في كثير من الخلافات، فقد يتدخل الأب، وقد تتدخل الأم أو الأخ، أو الأخت، فيحار الزوج من يقدم؛ والديه، اللذين عرفاه وليدًا، ورَبياه صغيرًا، أم زوجه التي هجرت أهلها، وفارقت عشها من أجله، إن هذه لمرتقات صعبة، أهونها أصعب الصعاب، وأحلاها، أمر من المر.

إن مثل هذه التدخلات في الحياة الزوجية، لهي مكمن الخطر لدى كثير من الأسر، فما بال أولئك يهجمون على البيوت فيأتونها من ظهورها، ويمزقون ستارها، ويهتكون حجابها، وينتزعون الخرائد من أكنافها،

والفرائد من أصدافها، ويوقعون العداوة والبغضاء بين الأزواج، ماذا يكون أثر هؤلاء في البيوت التي تتكون منها الأمة، وفي الأمة المكونة من البيوتات !!! إنه لا يغيب عن فهم عاقل، أن شرهم مستطير، وأن ما يفعلونه، فتنة في الأرض وفساد كبير.

عباد الله:

إن العلاقات الزوجية، عميقة الجذور، بعيدة الآماد، فرحم الله رجلاً محمود السيرة، طيب السريرة، سهلاً رفيقًا، لينًا رؤوفًا، رحيمًا بأهله، لا يكلف زوجته من الأمر شططًا، وبارك الله في امرأة لا تطلب من زوجها غلطًا، ولا تحدث عنده لغطًا، قال رسول الله ﷺ: « **إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشرها** » رواه أبو داود.

وقال ﷺ: « **إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت** » رواه ابن حبان.

وبهذا كله، يفهم الرجل أن أفضل ما يستصحبه في حياته، ويستعين على واجباته، الزوجة اللطيفة العشرة، القويمة الخلق، وهي التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره، إن هذه الزوجة، هي دعامة البيت السعيد، وركنه العتيد.

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: إن أحدنا لتمر عليه فترات، لا يرضى فيها عن نفسه، ولكنه يتحملها ويتعلل بما يحضره من المعاذير، وإذا كان الأمر كذلك، فليكن هذا هو الشأن بين الزوجين، يلتمس كل منهما لقرينه المعاذير، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلات؛ ولابد من غض الطرف عن الهفوات والزلات، حتى تستقيم العشرة.

فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

ولا شيء يخفف أثقال الحياة، وأوزار المتاعب، عن كاهل الزوجين، كمثل أحدهما للآخر، ولا شيء يعزي الإنسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل، والرجل للمرأة؛ فيشعر المصاب منهما بأن له نفسًا أخرى، تمده بالقوة، وتشاطره مصيبته.

فهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، كانت له في المحنة قلبًا مع قلبه العظيم، وكانت لنفسه ﷺ كقول: (نعم)، فكأنها لم تنطق قط (لا)، إلا في الشهادتين، وما زالت رضي الله عنها، تعطيه من معاني التأييد والتهوين، كأنما تلد له المسرات من عواطفها، كما تلد الذرية

من أحشائها؛ بمالها تواسيه، وبكلامها تسليه « كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق».

وحدث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أمه أم سليم، بنت ملحان الأنصارية رضي الله عنهما قال: « مرض أخ لي من أبي طلحة، يدعى أبا عمير، فبينما أبو طلحة في المسجد، مات الصبي، فهيأت أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، فرجع من المسجد، وقد تطيبت له وتصنعت، فقال: ما فعل ابني؟ قالت: هو أسكن مما كان، وقدمت له عشاءه، فتعشى هو وأصحابه، ثم أتما ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان، استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم شق عليهم، قال أبو طلحة: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك فلانًا، كان عارية من الله فقبضه إليه، فاسترجع وحمد الله وقال: والله لا أدعك تغلبينني على الصبر. حتى إذا أصبح، غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: **بارك الله لكما في ليلتكما**» متفق عليه.

الله أكبر، بمثل هذا فلتكن العشرة أيها الأزواج، بمثل هذا فلتكن الحياة الهانئة السعيدة، في النفس والولد والمال.

ثم اعلموا رحمكم الله أن لكلا الزوجين حقًا على الآخر؛ فحق على الزوج أن ينفق عليها، ولا يكلفها من الأمر مالا تطيق، وأن يسكنها في بيت يصلح لمثلها، وأن يعلمها، ويؤدبها، ويغار عليها، ويصونها، وألا يتخونها، ولا يلتمس عثراتها، وأن يعاشرها بالمعروف، قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا**» متفق عليه.

وسئل ﷺ : ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: « **تطعمها إذا طعمت،**

وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت » أبو داود .

ومن حق الزوج على زوجته، أن تطيعه في المعروف، وأن تتابعه في مسكنه، وألا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، وألا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه، وألا تخرج بغير إذنه، وأن تشكر له نعمته عليها ولا تكفرها، وأن تدبر منزله وتهيأ أسباب المعيشة به، وأن تحفظه في دينه وعرضه. قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**» رواه الترمذي والحاكم.

هذا ، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

لم يبق في القوس منزع
(عن المشردين المستضعفين في البوسنة والهرسك)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السر

والعلن؛ فإن تقوى الله سبحانه، هي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها الناس:

لقد ظل العالم الإسلامي بأسره، مئات الأعوام، وهو متجانس متماسك، يشد بعضه أزر بعض، ويأرز إلى عقيدته الجامعة كلما هدد كيانه خطر، أو ادلهم عليه خطب. ومنذ فقدان الأندلس، وقع تغير رهيب في حياته، وأخذت أرضه تنقص من أطرافها، فَفُقِدَتْ أقطارٌ وأمم، وَانْتُهِكَت محارم ومقدسات، ودارت رحى الحرب على المسلمين؛ حتى تداعت عليهم الأمم والشعوب، وتحقق فيهم قول المصطفى ﷺ: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا:** أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: **بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن.** قالوا: وما الوهن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**».
أخرجه أحمد وأبوداود فصدق رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي.

فهذا هو الوهن، وهو سر الضعف الأصيل، أن يعيش الناس عبيداً لدنياهم، عشاقًا لأوضاعها الرتيبة، تحركهم شهواتها وتموج بهم كالخاتم في الإصبع، وتسيرهم الرغائب المادية كالثور في الساقية، يتحرك في مدار محدود، فاقد الهدف، معصوب العينين، وهذا هو الوهن، حين يكره المسلمون الموت، ويؤثرون حياة ذليلة على موت كريم، يؤثرون حياة يموتون فيها كل يوم موتات، على موت يحيون بعده حياة سرمدية.

شعوبك في شرق البلاد وغربها   كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيمانهم نوران ذكرٌ وسنة فما بالهم في حالك الظلمات

أيها المسلمون:

إن السؤال الذي يفرض نفسه على واقع المسلمين هو: لماذا ولأي شيء لم نبحث عن أسباب تلك الهزائم والخسائر الفادحة، في الأموال والأهلين والأوطان؟ هل أذكاها عوج خلقي؟ أو خلل سياسي واقتصادي، أو غش ثقافي، أو انحراف عقدي، أو إلى مزيج متفاوت النسب من هذه العلل جميعًا؟ ما هي المعاصي الخلقية والسياسية والثقافية التي ارتكبها أهل الإسلام، فأصابهم ما أصابهم؟

يجب على كل منصف أن يبين ويوضح، وإن من المتحتم على أصحاب الألسن، وحملة الأقلام، ألا يقترفوا خيانات قاتلة، في حق دينهم وأمتهم بتجاهل تلك القضايا، وليعلموا أنهم بتجاهلهم، يؤخرون يوم النصر ولا يقدمونه. وإن اللجة التي تحمل بعض أولئك على تجاهل واقعهم في تلك القضايا، تقودهم ومجتمعهم إلى الغرق، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم. فهل يرتفع شعار الإسلام، وترفرف رايته، في تحليل القضايا الإسلامية، أم تبقى تحت الرايات العمية؟ لنبلغ بها القاع والعياذ بالله.

أيها الناس:

المؤمن الصادق لا يمل كثرة الحديث عن البوسنة والهرسك؛ لأنها اليوم نقطة الارتكاز في ميدان الجهاد الإسلامي، وقضيتها حديث القضايا الإسلامية وساحتها محطة امتحان وكشف لقوة المسلمين وغيرتهم على دينهم وأوطانهم وحرماتهم وقصة البوسنة والهرسك الدامية، يختلط فيها الشجو بالرضا، والتهنئة بالتعزية رضًا وتهنئة، حينما يستحضر المسلم مرأى أولئك الأبطال الذين وقفوا في وجه الصليبية الحاقدة، فسارعوا إلى ملاقاة

ربهـم، ودمـاؤهـم على ثيـابهم، وأبدانهـم لم ترفع، لتـبـقى وسـامًـا فـوق صدورهم، يلقون به ربهم يوم القيامة.

وشجو وتعزية، حينما يقع ما يقع، على مرأى من أهل القبلة ومسمع، فـلا يُحـيـرون جـوابًا، ولا يُحـيـون ألبـابًا إلا من رحـمـه الله، تقع أمـامـهم الحوادث، وتدلهم الخطوب، فلا يأنون لمتألم، ولا يتوجعون لمستصرخ، ولا يحنون لبائس، والمشاهد من أمثال هؤلاء، قساة القلوب غلاظ الأكباد، حكمـوا على أنفسـهم بالذلة، وعلى مـجتـمعـاتهم بالحطة، والمثـقـفون من هؤلاء، يندبون، ويلطمون، ويتلقون المواساة والعزاء.

والغرب الكافر الحاقد، يخفض جناح الذل من رحمته وعدله المزعوم، على دعم وتحصين، منظمات عـالمية لمحبي الكلاب، وأصـدقـاء الحيـوانات الأليـفة، فـتفـتح الصـوالين للكلاب، ليـقـوم أخـصـائيون بقص شعـرها، وتزيينها وتعطيرها، فهي على الضد تمامًا من صوالينهم الدموية التي يقصون فيـها شعـور البشر، ويحلقـون أديانهم، ويزينونهم بالأشـلاء، ويعطرونهم بالدمـاء، فليت مـخبـرًا منصـفًا يخبرنا، أو يسـائل الغـرب الحاقـد: أتكون الكلاب المكلبـة، أهم وأعظـم في قلوب عُبَّـاد الصـليب، من قطر إسـلامي ضخم، تعدو عليه حثالة لئيمة، فـتقـتل شيـوخه، وترمل نسـاءه، وتبيح حياءهن في فجور، وتتـاجر بأعـراضـهن في توقح، وتتـخذ من عفتـهن إناءً تلغ فـيه الكلاب بلا اسـتحيـاء؟ ولكن من يدري لعل هناك نسبًا وصـهـرًا، جمع بين الغـرب الكافر وبين الكـلاب، فـهم يُعْنون بشئـونهـا عناية منقطعة النظير، في حين أنهم لا يقيمون وزنًا للملايين من البشر. سبحانك يا رب، رحماك يا رب.

أيها المسلمون:

لقد أقام الإسلام مجتمعات المسلمين، على أركان ثابتة، ودعائم راسخة، ومن أهم هذه الدعائم أن يتحقق بين أبناء المجتمعات المسلمة روح الإخاء والتضامن، فيأخذ القوي بيد الضعيف، ويشد المقتدر من أزر العاجز!! ويمكن لكل مسلم منصف، أن يحكم على المجتمعات بالخير والصلاح إذا رأى الضعفاء من بني ملته، تتسلل إليهم المحن، وتتوالى عليهم الأفراح حثيثة، ويرى مع ذلك الأيادي الإغاثية تحميهم عن أن يضيعوا وسط الزحام، أو تسحقهم الأقدام، أو تصبح أعراضهم نهبًا مقسمًا بين الخونة واللئام من سفلة الناس وشياطين البشر، إذا رأى المسلم ذلك جليًا في المجتمعات المسلمة، فليشهد لها بالخير والصلاح، وإن لم ير ذلك، فإن على قلوبهم العفاء.

إنه لمن الواجب على المسلمين بعامة، أن يبحثوا في كل مظنة ضعف، عن سبب قوة. ولو أخلص المسلمون المجاهدون، في تلمس ذلك وتطلبه، لصار الضعف قوة؛ لأن الضعف قد ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله بعنايته ورعايته، فإذا قوة الضعف تهد الجبال، وتحير الألباب ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٧].

سمع معاوية رضي الله عنه أن رجلاً من أعدائه، شرب عسلاً فيه سم فمات، فقال رضي الله عنه: إن لله جنودًا، منها العسل.

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف، أو السكوت عليه، بل هو دعوة إلى استشعار القوة حتى في حالة الضعف، ودعوة إلى التدثر بالرجاء والأمل، وحسن الظن بالله، حتى في مواطن الشدة واليأس، ودعوة إلى بذل الجهود في كل حالة، وعلى أي

وضع كان، ودعوة إلى اليقين بأن الله قادر على أن يجعل من الضعف قوة، مادام الإنسان يجاهد قدر استطاعته .

وإني لأدعو الله حتى كأنما　　　أرى بجميل الظن ماالله صانع

وبذلك ينتزع المسلمون من ضعفهم قوة تحيل قوة عدوهم ضعفًا، وينصرهم الله نصرًا مبينًا ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

عباد الله:

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم، وتلين أفئدتهم، أفقُدَّت من حجر؟ ألا يكلف المرء نفسه تحريك جفنيه، وفتح عينيه ليرى صرعى البؤس والتشريد، وضحايا الظلم والعدوان والفاقة، ماثلين أمامه في غير ما سبيل، ألا يرى ذلك، فتأخذه بهم رحمة الإنسان؟

كيف يستطيع أن يهنأ، صاحب الترفُّه بطعامه وشرابه، بل كيف يدلل صبيانه وبناته، وكيف يضاحك عياله ويمازح أهله، وهويرى في البوسنة والهرسك صبية مثل عياله برءاء ما جنوا ذنبًا، أطهار ما كسبت أيديهم إثمًا، يبكون من الحيف، ويتلمضون من الجوع، أفلا يكون للمسلم السهم الراجح، والقدح المعلى في العطف على إخوانه في الدين، وفي كفكفت دموعهم، والمسح على رؤوسهم؟

أولا ينظر المرء إلى إخوانه، تحت سيطرة الصرب الحاقدين؟ أولا ينظر المسلم، إلى سقوفهم، وقد وكفت، وإلى الجدران وقد نزَّت، وإلى الغرف وقد اسَّاقطت، وإلى الجبال وقد سالت حُمَمًا من القنابل والشظايا، وإلى الأودية وقد امتلأت جثثًا وهامًا وغدت أباطح، وإلى اختباء المضطهدين في

البيوت، وما تكاد تمنع عنهم بردًا ولا بللاً، أولا ينظر المسلم إلى من خرج من ساكنيها فرارًا منها، حين لم تعدو دورًا ولا منازل، وإنما صارت جيفًا وأشلاء يقف البوسني أمامها مشدوهًا ولسان حاله يقول:

سقوف بيوتي صرن أرضًا أدوسها وحيطان داري رُكَّعٌ وسجود

إن القرآن الكريم يعطي الإنسان درسًا لا يجحده؛ لأنه مأخوذ من صميم الحياة، ولباب الواقع المتكرر، يقول تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

إن القرآن هنا، يمس شغاف القلوب، ويهز أوتارها هزًا، ويدفع الناس دفعًا، إلى تصور ذريتهم الضعيفة المكسورة الجناح، تنهشهم أفاعي البشر، وتفتك بهم ذئاب الكفر، فقد تدور عليهم رحى الأيام، والأيام قُلَّب، فيصبحون لا حول لهم ولا قوة، يطمع فيهم الطامع، وما من نصير لهم أو مدافع، والجزاء من جنس العمل.

أيها المسلمون:

عندما يستشري الشر، ويطغى الفساد، لا مندوحة للمسلم عن أن يدرأ الشر ويقمع طغيان الفساد بكل وسيلة، وإن من تلك الوسائل المتاحة المال المسلم، شريان الحياة.

إن المال الإسلامي طاقة مهدرة، تحركها بنوك الغرب ومصارفه، مليارات الأموال، قابعة في تلك البنوك، ماذا يفعل بها المسلمون؟ الشعب البوسني يستغيث ولا مجيب، أكلتهم صروف الحرب المدمرة، ولا من يغيث، والبعثات التبشيرية النصرانية، متخصصة في سرقة العقائد من أولئك العراة المفزوعين، وإننا لنتساءل أين المسلمون ؟ أين المسلمون؟،

حكومات وشعوبًا .

ومن رعى غنمًا في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

جاء الذئب فرعى الغنم؛ لأنها ليس لها حارس، ليس لها راع، ما السبب، وما الأمر؟ أمة غافلة، والغرب الحاقد، لا يحمي المغفلين .

لقد دقت ساعة الخطر، وبلغ الشر مداه، فلم يبق في القوس منزع، ولم يعد للصبر مجال، على أمل تسوية سلمية، فتاريخ الغرب سلسلة إجرام، حملات صليبية لا تعرف السلم ولا الموادعة؛ فالبدار البدار يا عباد الله، بالجهاد في سبيل الله بأموالكم لتجهيز المضطهدين الذائدين عن حياض الإسلام في أوطانهم، وإن كتاب الله ليدل دلالة واضحة، على أن الإنفاق والبذل في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، في طليعة أعمال البر التي وعد الله عليها بالجزاء العظيم ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أننا بحمد الله، نعيش منجاة من القتال وأهواله، والحروب وبلاياها، وما لنا عدو يحاربنا، وما عدونا إلا من يحارب إخواننا في الملة والدين، وارتضوا لهم أن يجوعوا ويَعْرَوْا، فأرهقوهم نهارًا، وأوحشوهم ليلاً.

والذي ينبغي على المسلمين بعامة، أن يقفوا مع إخوانهم المستضعفين، ويكونوا لهم سندًا وعضدًا، وأن يقيموا العزم في وجه التهاون، والشدة في وجه التراخي، والقدرة في وجه العجز، وبهذا كله يصبحون شركاء متعاونين، متأولين قول المصطفى ﷺ: « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » أخرجه البخاري من حديث أنس.

وإن الواجب على الأمة المسلمة ألا تعظم الدينار والدنيا لئلا تستعبدها المعاني المنحرفة، في النظرة للمال والحياة، فيكنز الغني مالاً، ويكنز الفقير عداوة، وليعلم الجميع، أن العزة في الإسلام بإنفاق المال لا بإمساكه، وفي

بذل الحياة لا في الحرص عليها، وفي اعتبار الغني ما يعمل بماله، لا ما يجمع منه، هذا هو الإسلام الذي غلب الأمم؛ لأنه قبل ذلك، غلب النفوس والشهوات.

وفي ظل هذه الظروف الحالكة، يقيض الله نفوسًا سوية في أقطار شتى، تشد من أزر المنكوبين، ففي مهبط الوحي ومنبع الرسالة على مستوى المؤسسات، والهيئات الإغاثية، يشرف عليها ولاة الأمر في هذه البلاد، وفقهم الله للهدى والسداد، تعد بارقة أمل، وومضة تفاؤل، بأن في الأمة خيرًا، ينبغي أن يذكى، على كافة الأصعدة إعلامًا وصحافة، وهيئات ومؤسسات. ولن تذهب تلك الجهود سدى إذا حسن العمل، وخَلُص القصد، فعليك أيها المسلم أن تساهم بما تستطيع لتكفل يتيمًا، أو تجير ثكلى، وتؤوي شيخًا، وتكتنف شابًا، وتستر شابة، وتؤنس مستوحشًا، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو كان قليلاً، فإن القليل بالقليل يكثر. قال رسول الله ﷺ: « **سبق درهم مائة ألف درهم** » رواه النسائي.

وإننا لنعلم أن في الموسرين محسنين، وفي التجار منصفين، ولكن في الموسرين من يريد الإحسان ولكنه لا يذكَّر، ومن المضطهدين من يريد الإحسان فيشق أن يعثر. فإذا تكاتفت الجهود، وتصافحت الأكف، بورك في العمل، وبلغ كل شيء مبلغه.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ﴾ [الحديد: ٧]. وقال رسول الله ﷺ: « **أيكم مال وارثه أحب من ماله؟** قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه،

قال: فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر» البخاري.

وقال ﷺ: «يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعُطي فاقتنى، ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس» رواه مسلم.

فيا أيها الأغنياء، شمروا عن سواعد الإنفاق، فإن النعم لا تدوم، وإن مع اليوم غدًا، وإن بعد الحياة موتًا، وإن بعد الموت لحسابًا، وإنما أموالكم عوان وأمانات عندكم، استودعكم الله إياها، ابتلاءً وامتحانًا لينظر كيف تعملون.

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يومًا أن ترد الودائع

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه ... يحول رمادًا بعد إذ هو ساطع

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة . . .

* * *

المؤمن وليد وقته
(في الحفاظ بالوقت)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق خلقه من تراب، أظهر آثار قدرته فى كل مكان، وأبدى أنوار هدايته في كل أوان ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أخلص لربه قلبه وخفض له وقته، فمنحه الله رضاه وحبه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوا الله واعبدوه، واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

عباد الله:

إن العمر الذي يملكه الإنسان، نعمة كبرى يحمد الله عليها، والحياة

أمامه، فرصة للنجاح، ولذلك امتن الله بالشروق والغروب على عباده فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر: ٦١]. أقسم سبحانه بالزمن في غير ما آية من كتابه فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾[الليل: ١، ٢]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨]. وقال عز وجل: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ١، ٢]. وقال عز من قائل حكيم: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣]. أقسم الله بالزمن، لما فيه من الأعاجيب، ولأن الزمن جملة أصول النعم، وفرصة سانحة أمام الإنسان يوصف بالحمق إن ضيعها.

أقسم الله بالزمن، فعلم من ذلك أن حياة الإنسان أنفاس تتردد وتتعدد، وآمال تضيع إن لم تتحدد، ودقات قلب المرء في صدره، تشعره في كل لحظة بأن الحياة دقائق وثوان، تمر به متوالية متتابعة؛ ولذلك قيل: المؤمن وليد وقته؛ لأنه يسير في حياته على خطى ونظام، يستغل من خلالها كل مقدار من وقته دون تسويف أو إبطاء، ودون تخليط أو اضطراب، يلوح له في الأفق طيف حكيم يقول له: لكل وقت آداب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال. ويقول له: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، بل الوقت هو الحياة.. المسلم الحق يغالي بالوقت مغالاة شديدة؛ لأن الوقت عمره، فإذا سمح بضياعه، وترك العوادي تنهبه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش.

يعبر الماديون فيقولون: الوقت من ذهب. وخابوا وخسروا، لأن كل نظرة من نظراتهم للدنيا، توحي إليهم أن الحياة مادة، فهم لا معيار عندهم

إلا معيار المادة، فلها يحيون، وبها يعيشون، وعليها يوالون ويعادون، ومن هنا اعترض اليهود على أن بعث الله فيهم من يقودهم، ويقيم فيهم شرع الله، ممن عمر وقته بطاعة الله، والدعوة إليه، والعمل فيما يرضيه ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، بسطة في العلم، وبسطة في الجسم، يفسرهما قول المصطفى ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ**» أخرجه البخاري؛ لأن الناس إذا توافرت لهم الصحة وامتد أمامهم حبل الفراغ، ولم يحسنوا استخدام ذلك في العمل المبرور والسعي المشكور فقد باءوا بالفشل الذريع، والخسران المبين.

قال رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**» أخرجه الحاكم والبيهقي. هذا الحديث المنبعث من مشكاة النبوة، يمثل أيام الإنسان، بأنها حبل ممدود، لا يدري متى ينقطع، فهو عرضة للضياع، وأوان للانقطاع، فلربما ضاعت الفرصة، وانقلبت البسمة غصة، ومن ثم، كان لزامًا على المؤمن، ألا يلتفت إلى الماضي، لينفجع عليه فيقنط، أو يحزن عليه فيكسل، ولا يتلهف على المستقبل، يريد أن يعرفه قبل أوانه، بل يرى حاضره فرصة سانحة، ينتهزها وينجزها، ومتى سيطرت هذه النزعة المندوبة، على المرء المسلم جعلته سلطانًا ولو كان في زي المملوكين، وجعلته يحس أنه ليس بينه وبين عظماء الدنيا، إلا يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته، ولا يجد هو شدته. وأما الغد فإنه وإياهم منه على خطر، فما هو إلا اليوم، فما عسى أن يكون؟ فما مضى

فات، والمؤمل غيب، وما له إلا الساعة التي هو فيها، ولن يستطيع رد الأمس، في اليوم الجديد.

والمفرط، بين يديه عقبة كؤود ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥]. ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٦].

عباد الله: إن الشباب حياة، والحياة شباب، الشباب للذكور والإناث، واحة فريدة في صحراء الحياة، وهو الربيع في سنة العمر. ولست أعني الشباب الغض الناعم، الذي ترق عنده الحياة، فتسحره بالنظرات المغرية، وتجمع له لذائذ الدنيا، في لحظة مسكرة أو شبهة عارضة، الشباب الذي يعيش للهوى وأحلام اليقظة، فيبدأ تاريخ حياته بالحاء فلا يلبث أن ينتهي بالباء ديدن حياته، يقوم على هذين الحرفين، كلا؛ ليس الشباب كذلك، إنما أعني الشباب الحي العامل، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من مجرد العيش، فهو في جهاد مع وقته ونفسه، والهوى والشيطان، فإذا مات قلبه، وأضاع وقته وجهده، فهو شيخ، ولو كان في العشرين من عمره، وكل من كان له قلب، وبرزت معالم عبادته، فهو شاب ولو شابت لحيته وابيض رأسه؛ لأنه بدا من فعله استحضار قول المصطفى ﷺ: « **أعذر الله عز وجل إلى امريء أخر عمره حتى بلغة ستين سنة** » البخاري. أي: أزال عذره، ولم يبق له موضعًا للاعتذار، إذ أمهله مدة مديدة من العمر.

أيها المسلمون:

إن للشباب مرحلة من أخطر المراحل في حياة الناس؛ لأنها مرحلة قوة بين ضعفين، ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، ولما كان الشباب من العمر وسيسأل الإنسان عن عمره؛ فإن رسول الله ﷺ خص الشباب في

قوله: « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس**، وذكر منها: **وعن شبابه فيما أبلاه** »الترمذي.

إن بقاء الشباب في الإجازات العامة دون استغلال ولا إشغال ينشئ مشاكل متوالية على الأسرة والمجتمع، بحيث لا يؤيهم إلا الطرق والممرات، فيزعجون، ويوقظون ويضايقون، وتكون لهم الطرق مدارس شيطانية تعلمهم كل بذيء من القول وقبيح من الفعل . . .

إن إحساس الشباب بالفراغ مع كمال الصحة أمر طبعي معقول ولكن الذي لا يكون أبدًا طبيعيًا ولا معقولاً. أن يحس الشاب والشابة بهذا كله، ثم يضطرهما المجتمع بأسلوبه على مختلف المحاور، إلى أن يملأوا فراغهم، باللهو فيما يسخط الله ورسوله، يملأون فراغهم بلهو صارخ وأفلام رخيصة، ودعايات مضللة إلا من رحم الله، يبذلون الصحة والفراغ، في لذة عارضة، ومتعة عابرة، ولربما ملأ بعضهم فراغه، بالسفر إلى بلاد الكفار، ليتلقفهم أهل الكفر بقضهم وقضيضهم، فيفقدوهم خصائصهم الإسلامية، التي بها قوامهم، ومن ثم يميلون إلى جلب أسوأ ما عند غيرهم ممن يخالطونه في بلاد الكفار، أو في بلاد تشبهها، ويتوهمون أن كل ما عند غيرهم من أهل اللهو والغفلة، خير مما عندهم. قال رسول الله ﷺ: « **أنا بريء من مسلم بين ظهراني المشركين** » أبو داود والترمذي.

إن مستقبل المسلمين، يجب أن يصنع في بلادهم، وعلى أرضهم بكدحهم وأخلاقهم، بإشغال أوقاتهم في كل ما من شأنه، خدمة الإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين جميعًا، أن يكفوا عن أخلاق التسول بكل صنوفه في طاقاتهم، ومقدراتهم وأخلاقهم وسياساتهم، والأمم التي تبني مستقبلها على التسول، أمم ضائعة، في تيه العقل الشحاذ، فهي لا تصلح

للحياة.

إن على المجتمعات الإسلامية، أن توجد للشباب في عطلهم، أعمالاً تقوم أخلاقهم، وترفع من ثقافتهم، وتحد من عبثهم وضياع أوقاتهم سدى، وتنتشلهم من أحضان البطالة، التي تولد آلاف الرذائل، وتكتنف جراثيم التلاشي والفناء، وعلى المجتمعات المسلمة، أن تقنع الشباب من واقع فعلها، أن العمل رسالة الأحياء، وأن العاطلين موتى، وأنهم أحرى الناس، أن يحشروا مفلسين لا حصاد لهم إلا البوار والخسران.

إن على المجتمعات المسلمة، أن تضع سياسات محكمة، للإنشاء الدائم، والبناء المستمر المستقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح، وأن تتحكم في أوقات الفراغ، لا بالإفادة منها بعد أن توجد فحسب، ولكن بإيجاد الجهد، الذي يستنفد كل طاقة، ويوجه هذا وذاك، إلى ما ينفعه في معاشه ومعاده، حتى لا يبقى مجال، يشعر الشباب بعده أنهم لا عمل لهم.

إن الشباب المسلم أحوج أهل الأرض إلى مربين أمناء، يدركون استغلال قوته في الخير، وتهذيب غرائزه فيما أباح الله، بلا تمرد ولا انزلاق.

عباد الله:

إن شرائع الإسلام تدور على جهاد النفس وجهاد الناس، وكلا الجهادين يستغرق العمر كله لحظة لحظة، ولقد كان شَغْلُ الوقت كله، بكلا الجهادين أمرًا معروفًا في سيرة المصطفى ﷺ، فما استراح من مناهضة الكفر في فج من فجاج الأرض، إلا تحول بعده إلى فج آخر، يعمره بالإيمان والتقوى، وسار الصحابة من بعده رضوان الله عليهم، فلم يدعوا مجالاً للقعود، فملأوا بقاع الأرض بأضواء الإيمان.

والذي حدث بعد ذلك، أن ترك المسلمون هذه الواجبات، فراغ بعضهم على بعض، وعاثت بينهم الفتن، ثم خلفت خلوف، ضيعت الأوقات، في التهويش والتحريش، في العلن تارة، وفي السر تارات، بالغيبة والنميمة، والمعارك الكلامية، والاتهامات الرخيصة، التي لا صحيح فيها، إلا أنها غير صحيحة؛ فأدت بهم إلى بطر الحق، وغمط الناس، وشارك أولئك أعداءهم، من حيث يشعرون أولا يشعرون، ويزداد الأمر علة، والطين بلة، إذا وقعت تلك المآسي ممن ينتسب إلى العلم والدعوة على حين غفلة عن قول الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[الإسراء: ٥٣] . وقوله: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[النساء: ١١٤] .

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الوقت، وحيُّ التقضي، أبي الجانب، بطيء الرجوع ؛ فلا تضيعوا منه لحظة في غير قربة. والويل ثم الويل، لمن تلمَّح الشهوات، وعمره في إدبار، والموت في إقبال، كيف يبقى على حالته، من يعمل الدهر في إحالته، بل كيف تطيب الدنيا، لمن لا يأمن الموت ساعة، ولا يتم له سرور يوم؟!

إن في الماضي للمقيم عبرة، وليس المرء من غده على ثقة، بالأمس يقول: أريد أن أكون، واليوم يقول: أنا قد كنت، والواردات سريعة الزوال، تمر أسرع من السحاب، وينقضي الوقت بما فيه، فلا يعود على الإنسان منه، إلا أثره وحكمه.

فاتق الله أيها المسلم، واعلم أن العمر إذا مر لا يعود، والزمن يسير بالمقيم، فاختر لنفسك من وقتك، فإنه عائد عليك لا محالة، ولهذا يقال للسعداء: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤] .

ويقال للأشقياء: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. فاشتر نفسك أيها المسلم، ما دامت السوق قائمة، والثمن موجوداً، ولا تسمعن حديث التسويف، فما لغد من حادث بكفيل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الفراغ في الأمة، يدمر ألوف الكفايات والمواهب ويخفيها وراء ركام هائل من الاستهانة والاستكانة، ويتبع هذا الإهدار الشنيع لقيمة الوقت والعمل، مصائب لا حصر لها، في الأحوال الدينية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فلا جرم، أن شعوبًا بأسرها، تسقط في هوة سحيقة، لأنها تستخف بالأوقات فلا عمل لها، استهلكها الفراغ، وأسلمها للفناء، وانتشرت في ربوعها آثام الفراغ والبطالة.

والواجب على المسلمين أن يتعظوا بالزمن، ويتتبعوا آيات الله في الآفاق، ويتدبروا أحوال الأمم، كيف تقوم وكيف تنهار، وكيف تتقلب بين ازدهار وانحدار.

واعلموا عباد الله: أن جهود الأعداء في محاولة صرف المسلمين، عن استثمار أوقاتهم، وتوفير فرص اللهو والعبث، وتهيئة وسائله كثيرة جدًا، وعالمنا اليوم ليس عالم غزو الفضاء فحسب، بل هو غزو للأفكار رهيب، تستخدم فيه الوسائل الحديثة وتنفق في سبيله الأموال الطائلة عبر قنواته

المختلفة .

ولن يصلح أمر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها، وذلك بالسير على ما سار عليه السلف الصالح، في الاهتمام بالأوقات، وتقديرها حق قدرها .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء، ندمي على يوم غربت فيه شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي .

وقال الحسن البصري : أدركت أقوامًا، كانوا على أوقاتهم، أشد : حرصًا على دراهمكم ودنانيركم . وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول : أثقل الساعات علي : ساعة آكل فيها .

ونقل عن ابن جرير الطبري المفسر المشهور، أنه قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا : كم يكون قدره؟ قال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه . فقال : إنا لله !!! ماتت الهمم . فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة .

قال ابن الجوزي رحمه الله : رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمن دفعًا عجيبًا ؛ إن طال الليل فبشيء لا ينفع، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق .

ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا، لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من يخلو بلعب الشطرنج، ومنهم من يُقَطِّع الزمان بكثرة الحوادث، من السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك . فعلمت أن الله تعالى لم يُطْلِع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية، إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] .

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

* * *

القدر سر الله في خلقه

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالاً، لا يستأخرون عنها ولا يستقدمون، قدر مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان، وما سيكون، ولو كان كيف يكون، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء لهم، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي عماد المؤمن في الدنيا، وأنيسه في قبره، ودليله في الأخرى يوم يلقى الله، إلى جنات النعيم.

أيها الناس:

لقد خلق الله السموات والأرض، وبنى الأجسام والعوالم، بناءً متقنًا، دالاً على حكمته وكمال علمه وقدرته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، خلق كل شيء فأحسن خلقه، وقدر كل شيء تقديرًا، خلق الثقلين الجن والإنس، فجعل منهم كافرًا وجعل منهم مؤمنًا، قدر مقادير الخلائق فلم يبق ولم يذر، وأجرى مقاديره حتى على غرز الإبر، أعجز العقول والأفهام عن إدراكه، أو الإحاطة به علمًا، تجلت عظمة الله في القضاء والقدر، وعجزت العقول المسلمة، عن تعليله؛ فبقيت مبهوتة، عالمة قصورها عن درك جميع الأمور، فأذعنت مقرة بالعجز، مؤمنة بأن الكل من عند الله، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴿ آمَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ [آل عمران: ٧]. سلموا لله في أفعاله، وعلموا أنه حكيم ومالك، وأنه لا يُقَدِّرُ عبثًا، فإن خفيت عليهم حكمة فعله، نسبوا الجهل إلى نفوسهم وسلموا للحكيم المالك.

وإن أقوامًا نظروا إلى قضاء الله وقدره بمجرد عقولهم، فرأوها لو صدرت من مخلوق، نسبت إلى ضد الحكمة؛ فنسبوا الخالق إلى ذلك، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. وهذا هو الكفر المحض، والجنون البارد.

وأول من فعل ذلك، إبليس عليه لعائن الله، فإنه قد رأى ربه فَضَّل جنس الطين، على جنس النار، فأبى واستكبر وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [الأعراف: ١٢].

واعترض أبو جهل على الخالق وحكمته، حينما قال في نبوة محمد ﷺ: «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا:

منا نبي، يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه» ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[الزخرف: ٣١، ٣٢].

واعترض ابن الراوندي، الذكي المشهور، في القرن الثالث الهجري، اعترض على قضاء الله وقدره، وعطل حكمته، واستنكف عن قسمته ورزقه، فقد جاع يومًا واشتد جوعه، فجلس على الجسر، وقد أمضَّه الجوع، فمرت خيل مزينة بالحرير والديباج، فقال: لمن هذه؟ فقالوا لعلي بن بلتق، غلام الخليفة. فمرت جوار مستحسنات، فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لعلي بن بلتق، غلام الخليفة، فمر به رجل، فرآه وعليه أثر الضُّرّ فرمى إليه رغيفين، فأخذهما ورمى بهما وقال: هذه الأشياء لعلي بن بلتق وهذان لي؟ فنسي هذا الجاهل الأحمق، أنه بما يقول ويعترض ويفعل، أهْلٌ لهذه المجاعة. قال الذهبي رحمه الله: فلعن الله الذكاء بلا إيمان ورضي الله عن البلادة مع التقوى.

عباد الله:

إن تطبيق مقاييس البشر ومفاهيمهم على قضاء الله وقدره، هو مكمن الخطر، واعتراض ضعاف النفوس، على قسمة الله ورزقه؛ حيث جعل هذا مؤمنًا وذاك كافرًا، وذاك غنيًا وهذا فقيرًا، وأخذه للشاب في شبابه، ما بلغ بنيانه بعض المقصود، وأخذه الطفل من أكف أبويه يتململان، والله الغني عن أخذه، وأبواه أشد الخلق فقرًا إلى بقائه، وإبقائه لهرِم، لا يدري معنى البقاء، كل ذلك يجد الشيطان به طريقًا للوسواس، ويبتدي بالقدح في حكمة الله وقدره. ولو ملئت قلوب أولاء بالإيمان واليقين، والرضا بالله

ربًا، لما كان للشيطان مسلك ولا مستقر في أفئدتهم، ولأيقنوا أن الله لم يقدر شيئاً إلا لحكمة، وأن الحكمة قد يعلمها الإنسان وقد تختفي عنه وفق إرادة العزيز الحكيم.

ألا ترون أيها المسلمون: أن الاعتداء على السفينة بخرقها يعد ظلمًا واعتداء، ومع ذلك، فقد يظهر لكم أن ذلك الخرق، كان طريقًا للنجاة من هلكه. وهذا ما وقع للخضر مع موسى عليه السلام ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩].

وانظروا حفظكم الله، إلى يوسف عليه السلام، لما اتهم بالفاحشة، وسجن بها؛ ليكون ذلك السَّجْنُ، سبيلاً إلى جعله على خزائن الأرض حفيظًا عليمًا.

ويعيش محمد ﷺ يتيم الأبوين، معذبًا في أهله وماله ونفسه، تُصَدُّ الأبواب دونه، ويرمى بالحجارة، ويلقى عليه سلا الجزور، ثم هو بعد ذلك، سيد ولد آدم، ومن لم يحبه كفر بالله وبما أنزل على محمد ﷺ.

أيها المسلمون:

مضت سنة الله في خلقه، بأن للأعمال القلبية، سلطانًا على الأعمال البدنية، فما يكون في الأعمال من صلاح وفساد، فإنما مرجعه، فساد القلب وصلاحه، فطمأنينة فؤاد المسلم، وركونه إلى ربه بعد أن يؤدي ما عليه من واجب، إنما هو إيمان منه، بأن زمام الأمور كلها تحت مشيئة الله النافذة، فهو يتوكل على ربه، دون توتر ولا قلق؛ ومن ثم، فإنه يستقبل الدنيا بشجاعة ويقين، ولسان حاله، يقول ما قاله علي بن أبي طالب:

أي يومي من الموت أفر يوم لا يقدر أو يوم قُدر

يوم لا يقدر لا أحذره ومن المقدور لا ينجو الحذر

إن قلق كثير من الناس، وخواء أفئدتهم من الإيمان بقضاء الله وقدره، وفزعهم من المستقبل، والشعور بالوهن عن حمل المصائب، هو سر قيام التدجيل والتكهن والعرافة والتنجيم، وهو سر تعلق عدد من المجتمعات ليس بالقليل، بما يسمى شركات التأمين، التي قرر حرمتَها علماء الملة. والتي تؤمن علي المال والأرواح والأعراض، الذي استولت من خلاله، على قناطير مقنطرة، من الذهب والفضة، استقطبتها من هلع المذعورين، وخشية الخوافين على أعمارهم حينًا، وعلى أموالهم حينًا آخر.

ومن الفَرَق، الذي استحوذ على الجبناء، عندما يدفعهم الشك، إلى ترقب الموت كامنًا في كل أفق، فيفزعون من الهمس، ويألمون من اللمس.

ولن تقر نفوس هؤلاء، إلا إذا خالطها الإيمان بالله، والتسليم له، والرضا بقضائه وقدره. قال رسول الله ﷺ: « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً** » رواه الترمذي.

وقال ﷺ: « **لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم، أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه** » رواه الترمذي.

عباد الله:

إن شأن الناس مع القدر عجيب، فذاك تاجر يؤرقه السهود، لأنه من خوفه على رزقه، يتوجس انهيار تجارته بين الحين والآخر، وآخر غط في نوم عميق، فهو لا يتجشم مؤنة سعي؛ لأن الأرزاق مقسومة. والحقيقة كلها، في التوسط بين الطرفين، فالمسلم يؤدي العمل المطلوب، فيعقل ويتوكل، وينفي الريب عن فؤاده، بعد أن يؤدي ما عليه، عملاً بقول

المصطفى ﷺ : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » متفق عليه .

ولذا ، فإن أحاديث القدر ، علاج للقلق والتشاؤم ، وليست ذريعة كسل أو خمول . إذ ما عساك أيها المسلم أن تفعل ، إذا أصابك ما تكره؟ إن كان تغيير المكروه في مقدورك ، فالصبر عليه بلادة ، والرضا به حمق . وإن كان ما عراك ، فوق ما تطيق ، فهل هناك حيلة ، أفضل من الاتزان ورباطة الجأش ، وهل هناك مسلك أرشد من الرضا والتسليم للخالق ، الذي يحول الداء دواءً ، والمحنة منحة ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢ ، ٣] .

أيها الناس:

إن الله عز وجل ، قسم المعاش ، وقدر الأرزاق ، والناس أجمع ، لا يملكون عطاءً ولا منعًا ، وإنما الناس وسائط ، فما أعطوك ، فهو بقدر الله ، وما منعوك ، فهو بقدر الله ، وما كان لك ، فسوف يأتيك على ضعفك ، وما كان لغيرك فلن تناله بقوتك ، وما عليك إلا أن تجد وتعمل ، وتضرب في آفاق الأرض ، وتأخذ بأسباب الرزق ، فمن جد وجد ، ومن زرع حصد ، فلا كسب بلا عمل ، ولا حصاد بلا زرع ، ومسألة الرزق ، أدق من أن تدرك ، وأبعد من أن تنال ، وانظروا إلى الناس ، ترون منهم الغواصين ، الذين جعل الله رزقهم في أعماق البحار ، والطيارين ، الذين جعل الله معاشهم في بحار الهواء بين السماء والأرض ، وأصحاب المناجم يجدون خبزهم ، مخبوءًا في الصخر الأصم ، فلا ينالونه إلا بتكسيره . ومروض الأسود والفيلة ، الذي يترصده الموت كل حين ، يجد مصدر رزقه ، بين أنياب الأسود أو تحت أرجل الفيلة : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا

بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فلا تجزعوا من الفقر عباد الله، فإن الفقر قد يسمو، كما سما فقر المصطفى ﷺ ولا تغتروا بالغنى؛ فإن الغنى قد يدنو، كما دنى غنى قارون وأبي جهل.

واجعلوا الفقر والغنى مطيتين، لا تبالون أيهما ركبتم، إن كان الفقر، فإن فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل. وأبشروا بقول المصطفى ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت، حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم، استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى، لا ينال ما عنده إلا بطاعته**» أخرجه ابن حبان وأبو نعيم في الحلية.

أيها المسلمون:

إن الإيمان بالقضاء والقدر، يثمر الإقدام، وخلق الشجاعة والتسليم بأقدار اليوم والغد، وهذا ما ذكره الله في قوله: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة: ٥٢]، يعنون بذلك كسب المعركة بالنصر ، أو الموت دون الظفر بها، و هو حسن كذلك؛ لأن ما عند الله خير وأبقى. أما الذين لا إيمان لهم، فهم إن انتصروا أو انهزموا، بين عذابين، آجل أو عاجل. ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢]، فهم يحيون بفؤاد هواء، تلعب به الأحداث والظنون، وأشباح الموت والمصائب.

إن الذي يعتقد أن الأجل محدود، والرزق مكفول، والأشياء بيد الله

يصرفها كيف يشاء، كيف يرهب الموت والبلى؟ وكيف يخشى الفقر والفاقة مما ينفق من ماله؟ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

[آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

ومن هنا اندفع السلف الصالح، إلى الممالك والأقطار يفتحونها، فأدهشوا العقول، وحيروا الألباب، وقهروا الأمم، فكسروا كسرى، وقصروا قيصر، ودمروا بلادًا، ودكدكوا أطوادًا، وسحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جيادهم. أرجفوا كل قلب، وأرعدوا كل فريصة، وقائدهم في ذلك كله، الإيمان بالله وبقضائه وقدره.

بهذا الاعتقاد، لمعت سيوفهم بالمشرق، وانقضَّت شهبها على الحيارى من أهل المغرب، فالله أكبر ما أعظم الإيمان بالقدر، والله أكبر، ما أعظمه من مطهر للنفوس، من رذيلة الخور والدعة، العائقين عن بلوغ الرَشَد والدرجات العلى.

اللهم إنا نسألك إيمانًا بك، وبملائكتك، وكتبك ورسلك، واليوم الآخر، وبقدرك خيره وشره، إنك قريب مجيب الدعوات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

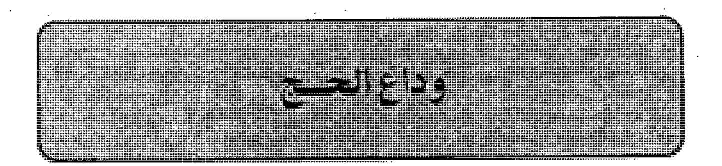
فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الإيمان بالقضاء والقدر، دعامة من دعامات هذا الدين، فهو الركن السادس من أركان الإيمان، ضل فيه من ضل، ممن حرم هداية الله، ولم يوفق للتوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، والمخالفون في القدر، بين الغالي فيه، والجافي عنه، والقول الحق هو الوسط؛ قول أهل السنة والجماعة، بين الغالي فيه والجافي عنه، كما قال بعض أهل العلم، من بين فرث ودم، لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمُهُ في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل، ولا مغير، ولا زائد ولا ناقص من خلقه، في سماواته وأرضه، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن للعبد مشيئة وإرادة. تحت مشيئة الله وإرادته ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[التكوير: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال ﷺ: « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** » رواه مسلم.

والفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة، تؤمن بالقدر خيره وشره، ويقولون: إن أصل القدر سرٌّ الله في خلقه، لم يَطَّلِعْ على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل. والتعمق والنظر في ذلك، ذريعة الخذلان، وَسُلَّمُ الحرمان، فالحذر كل الحذر من ذلك. نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *



الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واركعوا واسجدوا واعبدو ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

حجاج بيت الله، يا من أديتم مناسككم فوقفتم بعرفات، وانحدر بكم الشوق إلى المزدلفة فسكبتم عند المشعر الحرام العبرات، هنيئًا لمن رزقوا

الوقوف بعرفة، وجأروا إلى الله بقلوب محترقة، ودموع مستبقة، فلله كم من خائف، أزعجه الخوف وأقلقه، ومحب ألهبه الشوق وأحرقه، وراج أحسن الظن بوعد الله وصدَّقه، وتائب نصح لله التوبة وصدقه. كم من مستوجب للنار، أنقذه الله وأعتقه، وبلغ الأماني عشية عرفة، اطلع عليهم أرحم الرحماء، وباهى بجمعهم أهل السماء، فهل رأيتم عباد الله، هل رأيتم قط عراة، أحسن من المحرمين، هل شاهدتم ماءً صافيًا أصفى من دموع المتأسفين، هل ارتفعت أكف، وانبسطت أيد، فضاهت أكف الراغبين، هل لصقت بالأرض جباه أفضل من جباه المصلين؟

حجاج بيت الله، أخلصوا لله حجكم، واتبعوا سنة نبيكم تفلحوا، فالإخلاص والمتابعة هما شرطا قبول العبادة، فكل عمل فقد واحدًا من هذين الشرطين، فهو مردود على صاحبه. قال رسول الله ﷺ: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » رواه مسلم، وقال ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » متفق عليه.

لقد أوضح النبي ﷺ الطريق، ولكن قل السالك على التحقيق، وكثر المدعي. وليس السابق اليوم، من سبق به بعيره، إنما السابق من غفر له ذنبه.

أيها الحجاج: من قصر في جنب الله، فليرجع إلى جهاد النفس فهو الجهاد الأكبر. حذار أن تحلقوا رؤوس أديانكم بالذنوب، فإن الذنوب حالقة الدين، ليست حالقة الشعر.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من فاته القيام بعرفة، فليقم لله بحقه الذي عرَّفه، ومن عجز عن المبيت بالمزدلفة، فليبت عزمه على طاعة الله، وقد قربه وأزلفه، من لم يقدر على نحر هدية بمنىً، فليذبح هواه هناك

أو هنا وقد بلغ المنا ، من لم يصل إلى البيت العتيق ؛ لأنه من بعيد ، فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله ؛ فإن رحمت الله أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً .

ذكر الله المطلق ، يستحب الإكثار منه في أيام التشريق ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يكبرون فترتج منى تكبيراً .

فإذا قضى الحاج مناسكه ، شرع له أن يذكر الله ، ويكثر من ذكره ، استجابة لما أرشد إليه خالقنا جل وعلا في قوله : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

وفي الأمر بالذكر عند انقضاء النسك معنى جلي ، وهو أن سائر العبادات تنقضي ويُفْرغ منها ، وذكر الله باق ، لا ينقضي ولا يفرغ منه ، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة ، فالمؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه ، وعليه يبعث ، فما طابت الدنيا إلا بذكره تعالى ، ولا الآخرة إلا بعفوه ، ولا الجنة إلا برؤيته .

كما يشرع للحاج أن يكثر من قوله : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، وهذا الدعاء ، من أجمع الأدعية ، وقد كان النبي ﷺ يكثر منه ؛ لأنه يجمع خير الدنيا والآخرة ، وهو دعاء جامع لكل خير ، وصارف لكل شر ، فالحسنة في الدنيا ، تشمل كل مطلوب دنيوي ، من عافية ورزق ، وزوجة صالحة ، وعلم نافع وعمل مبرور . والحسنة في الآخرة هي الأمن في العرصات يوم القيامة ، وتيسير الحساب ، والنعيم المقيم ، ورؤية رب البرية سبحانه ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن

يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[البقرة: ٢٠٠، ٢٠١].

حجاج بيت الله، في حجة الوداع، كان خطاب النبي ﷺ، الذي ألقاه على حشود من البشر غفيرة، والتي اجتمعت له في صعيد عرفات، وهو خطاب جليل، لم تع مسامع الوجود أرقى من مبادئه، ولا أشرف وأجل من مقاصده، كما أنه خطاب أخوي، حوى سجلاً صادقًا لحقوق الإنسان المسلم وحرمة ماله ودمه وعرضه، أكد النبي ﷺ في تلك الخطبة، بطلان أمور الجاهلية، وأنها موضوعة تحت قدميه.

ورأس الجاهلية، الشرك بالله !!! الشرك بالله في ألوهيته، أو ربوبيته. أو الإلحاد في أسمائه وصفاته.

فدين الإسلام دين التوحيد والعقيدة، وبيت الله بني لأجل التوحيد ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٢٦].

والحج في الإسلام أمارة وحكمة، تدعو إلى التوحيد، فاجتماع الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم يوحي إليهم: أنه ينبغي للمسلم، ألا يعبد إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا ينذر إلا لله، ولا يتوكل إلى على الله، ولا يعمل عبادة إلا لله وحده لا شريك له، فالأمن والأمان، مرتهنان بتوحيد الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقرن إبراهيم عليه السلام، الأمن في الحرم بتوحيد الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فلا يجتمع إذن صنم وآمن . . صنم النفس، وصنم الهوى، وصنم الحجارة، وصنم الدساتير والأحبار والرهبان.

ومتى بقيت من ذلك بقية، فالله أغنى الشركاء عن الشرك، وهو لا يرضى بمزاحمة الأصنام. قال سهل بن عبد الله: حرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكرهه الله.

لقد حارب النبي ﷺ الشرك؛ لأن من مقتضى الإيمان بالله وعبادته وحده، هو الكفر بالطاغوت ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. والإيمان بالله، والكفر بالطاغوت، هو معنى لا إله إلا الله. والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد الحده، من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم، من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ورسوله.

فالله عز وجل، إنما بعث محمداً ﷺ بالتوحيد الخالص، وتحريم كل صور الشرك وضروبه، ومنع كل مشرك من دخول المسجد الحرام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]. وقد أمر رسول الله ﷺ أن ينادى في الناس « **ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان** » متفق عليه .

فالذي ينبغي علي المسلم ألا يشرك بالله شيئًا، وأن ينفي الشريك عن الله وألا يرجو قبة، ولا يتوسل بوثن، ولا يطوف بقبر، ولا يتمسح بعتبة أو باب، ولا يعلق تميمة، أو ودعة أو نابًا؛ رجاء نفع، أو دفع ضر، فالله هو النافع وهو يدفع ما بالإنسان من ضر ومصاب.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

حجاج بيت الله الحرام، في خطبة الوداع يؤكد المصطفى ﷺ، حرمة المسلم وحريته الشرعية، وأنه لا يحل دمه وماله وعرضه، إلا بسبب يبيح

ذلك: « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » رواه مسلم، فرسول الله ﷺ هو أول من نادى بحقوق الإنسان المسلم، وهو الذي طبقه في واقع حياته، ثم الصحابة من بعده، ثم السلف الصالحون، ومن بعدهم من أئمة الهدى، وأمراء العدل.

ويؤكد رسول الله ﷺ في خطبته، حرمة الربا فيقول: « **وربا الجاهلية موضوع، وأول ربًا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله** » رواه مسلم.

إن أفظع تعامل منيت به الإنسانية، وأبشع وضع تواضع عليه كثير من الناس في أمورهم المالية، هو الربا، فكم له من ضحايا، وكم خرب من بيوتات، وكم جلب من محن وبلايا، ولو لم يبق إلا كونه حربًا لله ورسوله لكفى، فأكل الربا صفة من صفات اليهود، التي استحقوا عليها اللعنة الخالدة ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

أيها الناس:

أكد رسول الله ﷺ حق المرأة المسلمة، وأنها شقيقة الرجل، لها شأن في المجتمع، ؛ حيث إنها نصف البشرية، ثم هي تلد النصف الآخر، فأصبحت بذلك كالأمة الكاملة. وبذلك، ارتفعت المرأة في الإسلام، بعد أن كانت زرية مهانة، تباع وتسبى، وتحرم وتوأد، فأكد النبي ﷺ حقها، وأوصى بالنساء خيرًا فإنهن أسيرات عند الرجال.

ومن حق المرأة على الرجال، أن يعتنوا بها، ويحموها من مزالق الفتن، ويضعوا لها سياجًا منيعًا، متمثلاً في الحشمة والعفاف، المفضيين إلى الحجاب الشرعي، والقرار في البيوت، والبعد عن مزاحمة الرجال، وأن

يباعدوا بينها وبين الدعوات المسعورة، الداعية إلى نزع حجابها، وخروجها من بيتها؛ لتكون طبقًا شهيًا لعباد المرأة، وللذين كرهوا ما نزل الله.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعملوا بوصية نبيكم ﷺ، الواقعة في مثل حجكم هذا، والتي أشهد عليها آباءكم وأسلافكم حين قال لهم: « **وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء يشير بها إلى الناس: **اللهم اشهد، اللهم اشهد**» رواه مسلم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله:

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد من يشكر النعمة، ويخشى النقمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو القوة والرحمة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، معلمنا الكتاب والحكمة صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، ومن قام على قمع بدعة وإحياء سنة.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ عنهم شذ في النار، عليكم عباد الله بالتقوى، والاستمساك بالعروة الوثقى، واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم، فخذوا حذركم. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية...

* * *

الشرف الزائف

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم العليم، يضع البركة في القليل الضئيل، فإذا هو كالبحر الواسع، أو الفيض العميم، ويمحق بقدرته الكثير الدخيل، فإذا هو كالهباء أو الهشيم ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين ومزكي قلوب المتقين ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخلص إلى ربه قصده، وأوقف على رضاه جهده، بلا رياء ولا سمعة، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الفائزين بشرف صحبته، والمستمسكين بشرعته ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٩].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، إذ لا خير فينا إن لم نقلها، ولا خير فيمن سمعها ألا يعمل بها، فتقوى الله عز وجل طريق الفلاح، وعنوان الصلاح ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

عباد الله:

قال الله عز وجل: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

أيها المسلمون:

هذا هو مثل الدنيا في القرآن، يعرف من خلاله، استنكار الضراعة، التي تظهر على بعض الناس، حين يتطلعون إلى الدنيا، فيبكون ما فقدوا من حطام، وتؤثر فيهم المعاني النفسية التي تعلو بعرض من الدنيا، وتهبط بعرض، وكلما أحدثت خلة من خلالهم هدمًا في الحياة أو شرخًا في الدين، ظنوا أن المال يرممها، وأن الشرف والتفاخر يرأب الصدع فيها.

أيها الأحبة في الله:

لو راجع الإنسان نفسه، وأصغى لمناجاة نفسه، لوجد في وجدانه ميلاً قويًا، وحرصًا شديدًا، يدفعه إلى طلب الشرف والرفعة، وعلو المنزلة في أبناء جنسه، ولو رفعت بصرك أيها المسلم، إلى سواد أمة بتمامها، لوجدت مثل ذلك في مجموعها، كما هو حاصل في أفرادها، تبتغي شرف المكانة في نفوس الأمم سواها، ذلك كله أمر جبلي، جبل الله عليه

بني الإنسان مجتمعين ومنفردين.

فعلى مستوى الأفراد، يتفق العقلاء من البشر وذووا الفطر السليمة، على أن الإنسان إذا طلب الشرف من طريق مزيفة تشبه تفنن المتسولين، فهو بشر شاذ المسلك، مريض يستحق العلاج، أو مجرم يستحق العقاب، وطالب الشرف من أمثال هذا، إما غني فيه طمع، أو فقير عنده قلق، غني لم يكتف حين استوفى، ولم يشكر حين قدر، فوقعت مآسي الترف والفسق وحب الشرف، وفقير أخرجه فقره عن رشاده، ولم يرض بقسمة الله ورزقه، فاعترى الغنى والفقر مرضان مرض شهوة، ومرض شبهة.

ومن هنا أسرف الغني على نفسه فكان حيوانًا، واضطرب الفقير بقلقه فكان شيطانًا.

وعلى مستوى المجتمعات، فإن المجتمع الذي يملك ثروة هائلة، ولديه تراث ديني خصب، يعد مجتمعًا ساذجًا إذا نسي ما لديه من كنوز، وما يقتني من مصادر الشرف المادي والأدبي، ثم يحاول الالتحاق بجبهة من جبهات الكفر والضلال، أو يصطبغ بلون من ألوانها، سيرًا في ركاب التقدم، المفضي إلى الانحراف، بعد أن شرفه الله بصبغة واحدة. ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[البقرة: ١٣٨].

ومن هنا، اختلفت نظرات الناس وتوجهاتهم حول ما يثيرونه من معاني الشرف، ففئة من الناس ترى الشرف في تشييد القصور، والتعالي في البنيان، ووفرة الخدم والحشم. وفئة أخرى تتوهم أن الشرف يكمن في وفرة الفاخر من الثياب والحلي وأشباهها. وفئة أخرى، تتخيل الشرف، في الألقاب الرفيعة، أو في رتب الوظيفة وعلو أسمائها. وفئام من الناس، يرون الشرف، في أن يسلب الرجل مال أخيه، ونهب ثروات أقاربه

وذويه، أو بني ملته وأهل دينه ليشيد بما يصيب من السحت بيتًا، ويرفع بناءً، ويظن بذلك، أنه نال مجدًا أبديًا، وفخارًا سرمديًا، وراق لهؤلاء أن يُعَنْونوا لحالهم بعنوان الشرف.

وآخر من الناس، يسهر ليله، ويقطع نهاره بالفكر، في وسيلة ينال بها لقبًا من الألقاب أو يحصل بها على وسام، أو يستفيد وشاحًا، وسواء عنده الوسائل يطلبها، أيًا كان نوعها، وإن أفضت إلى خراب بيته، أو تذليل نفسه وأهله، أو تمزيق دينه. انطلاقًا من قاعدة، قعدها شياطين من البشر، في جثمان إنس، يقولون: [الغاية تبرر الوسيلة] فكل ما ترى أنه غاية لك أيها الإنسان، فإن الوسائل المؤدية إلى تلك الغاية لك أن تسلك منها ما تشاء ولو كان على حساب الآخرين، أو بالغدر والفتك والحسد.

ويالأسف الشديد أنك تجد بعضًا ممن ينتسبون إلى الدعوة والتعليم يقعون في هذه الأوحال تعصبًا لحزب، أو طمعًا في منصب، أو كرهًا لمستقيم صادق. فهؤلاء يعيشون ويحيون على هذه القاعدة، ويتمرغون بأخلاقهم فيها، ينقلبون على المجتمع من صنع تلك القاعدة ناسًا دودًا كطبع الدود، لا يقع في شيء إلا أفسده أو قذره، أو قومًا سوسًا كطبع السوس، لا ينال شيئًا إلا نخره أو عابه، فهم يوقعون الخلل في أنفسهم وفي نظام مجتمعهم.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « **ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فهذا مثل عظيم جدًا، ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس أقل من فساد الغنم

بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومن المعلوم بداهة، أنه لا ينجو من الغنم والحالة هذه إلا قليل.

عباد الله:

الحرص على الشرف صفة ملازمة لكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم وتوجهاتهم، كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم، ويأنف من احتقارهم له، فيحرص أشد الحرص على ما يحله من قلوبهم محل الاعتبار، حتى إذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة، ودخل في طبقة أخرى، ونافس أهلها في المال والجاه، ويظل يتبع سيره ما دام حيًا، حتى لا يستطيع أن يقنع نفسه أنه بلغ من الكمال الزائف حدًا ليست بعده غاية.

سبحان الله، ماذا أخذت محبة الشرف من قلب الإنسان؟وماذا ملكت من أهوائه ورغباته، يعد الشرف ثمرة حياته، وغاية وجوده!! حتى إنه يحقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه، يتجشم المصاعب للوصول إليه، ويبلغ من محبة الشرف حدًا لا يراه غذاء لروحه فقط، بل يعده من مادة النماء لبدنه، فهو يفرق خوفًا إذا عرض وهم لفواته، خشيةً من هلاكه، وذهاب حياته، كل هذا يحتمله، طلبًا لشرف يكسبه لذاته، أو ابتغاء مجد يحصله لشهوة نفسه.

ماذا يشعر به المفاخر بنفسه وجاهه، أوعلمه وماله، إذا تجرد وخلي بنفسه؟ إن لم يكن لذاته حلية من الفضيلة، وزينة من السمو!! ألا يكون هو وعراة الفقراء سواء.

أولا يجد من سره عند المفاخرة أنه يجول مع الغانيات وربات الخدور

في ميدان واحد؟ ماذا يتصور الزاهي برتبته، المعجب بوسامه، إن لم يكن قبل وسمته، أو الصعود لرتبته على حال تجل، أو علو يبجل، أليس يشعر، أنه لو سلب الوسام، أو نزع منه الوشاح، يعود إلى منزلته من الاحتقار؟ فإن نال الكرامة عند بعض السذج، واللقب معلق عليه، أليس ذلك تعظيمًا للقب لا للملقب به؟ ألا تكون هذه الكرامة عارضًا سريع الزوال، بل رسمًا ظاهرًا، لا يمس بواطن القلوب؟ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٧].

نعم أيها المسلمون:

لهذه الألقاب الرفيعة شأن، يرتفع به نظر الناس، إذا سبق بعمل يعترف عموم الناس بشرفه، وكان اللقب دليلاً عليه أو مشيرًا إليه، كما يكون لمثلها حال يسقط به الاعتبار، إذا تقدمها فعلة يمقتها العقلاء من بني الإسلام.

عباد الله:

ذكر بعض أهل العلم أن طلب الشرف تشتد خطورته إذا حرص عليه من طريقين:

الطريقة الأولى:

طلب الشرف بالولاية والرياسة والمال، وهذا خطر جدًا، وهو في الغالب، يمنع خير الآخرة، وشرفها وكرامتها، قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

وقلَّ من يحرص على ولايات الدنيا بطلبها فيوفق، بل يوكل إلى نفسه كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: « **يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير**

مسألة أعنت عليها » [رواه البخاري ومسلم].

قال بعض السلف: ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها. والولاية هي كل ما يتولى به على أمر من أمور المسلمين الخاصة والعامة.

وثبت أن رجلين قالا للنبي ﷺ: يا رسول الله، أمرنا، قال: « **إنا لا نولي أمرنا هذا من سأله ولا من حرص عليه** » [رواه البخاري].

وحب الشرف بالولاية إذا قصد به الحرص على نفوذ الأمر والنهي، وتدبير أمور الناس، وعلو المنزلة عليهم، والتعاظم على الخلق، وإظهار حاجة الناس وافتقارهم إليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه، فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله وإلاهيته، وهو لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له.

قال رسول الله ﷺ: « **يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما عذبته** » [رواه أحمد وأبو داود]

فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم، من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم، لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبودية والربوبية.

الطريقة الثانية:

طلب الشرف والعلو على الناس، بالأمور الدينية، كالعلم والعمل والدعوة والإرشاد والتوجيه، فهذا أفحش من الأول، وأقبح وأشد فسادًا وخطرًا؛ فإن العلم والعمل والدعوة، إنما يطلب به ما عند الله، فإذا طلب به المال فقد طلبه بالأسباب المحرمة، قال رسول الله ﷺ: « **من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا في الدنيا، لم يجد رائحة الجنة يوم القيامة** » [رواه أحمد وغيره].

وسبب هذا هو أن العلم يدل على الجنة، ولهذا كان أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه، حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلا في أخس الأمور وأحقرها.

كتب وهب بن منبه إلى مكحول: « أما بعد، فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفًا ومنزلة، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تنازع الأخرى».

وبكل حال أيها المسلمون؛ فإن طلب شرف الآخرة يحصل معه شرف الدنيا وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم: ٩٦]، أي في قلوب عباده.

وفي الحديث عن المصطفى ﷺ أنه قال: « **إن الله إذا أحب عبدًا، نادى: يا جبريل أحب فلانًا فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض** » [رواه البخاري ومسلم]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ....

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله: واعملوا أن الشرف الحقيقي، ليس هو الأمنية والتشهي اللذين تطلبهما النفس تارة بعد أخرى، ويعبر عنها الإنسان بليت لي كذا وكذا من المال والفضل، لا وكلا.

إنما الشرف، دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على المشاق والمتاعب، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد.

والشريف هو كل مؤمن بالله، صادق الإيمان، صحيح العقيدة، وفى لربه وأدى ما عليه وأبى الدنية في دينه، ولم يرضخ لوساوس الشيطان وألاعيبه، فدينه الإسلام ومصدر الحكم عنده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح، فلا يرضى لدينه أن يدنس، ولا لماله أن يستباح، ولا لأهله أن تنتهك حرماتهم، وحمى شعائر الله ومقدساته ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

الشرف بهذا المفهوم بهاء للشخص، يحوم عليه بالأنظار، ويوجه إليه الخواطر والأفكار، ومشرق ذلك البهاء عمل يأتيه طالبه، يكون له أثر حسن في أمته؛ أو بني ملته كإنقاذ من تهلكة، أو كشف لجهالة، أو تنبيه لحق سلب، أو إيقاظ من غفلة، أو جمع كلمة، أو تجديد رابطة، أو إعادة قوة وانتشال من ضعف، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر.

من أتى عملاً من هذه الأعمال وهو مؤمن بالله إيمانًا صادقًا، فهو الشريف حقًا، وإن سكن غياهب الجبال، ولبس الرث من الثياب، وبات على تراب الفقر، هذا له حلية من عمله، وزينة من فضله، وبهاء من جده، يهدي إليه ضالة الألباب، وتائهة الأفئدة، تعرفه المشاعر الحساسة ولا تنكره، وله معزة مشرقة، في جباه الصالحين من المسلمين ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

وأما الشرف الزائف فيمكن علاجه بداوم النظر في سنة المصطفى ﷺ فإن فيها تحذيرًا شديدًا من سؤال الولاية أو تعلق القلب بها، وبدوام التعويد على الطاعة وهضم النفس، فإن ذلك له أثره الظاهر في كبت جماح النفس وتطلعاتها المشبوهة، وخلع تلك الأمراض من القلب والرضى بالحال التي يوضع فيها المسلم قال رسول الله ﷺ: « **تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحرسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع** » رواه البخاري.

كما ينبغي للعبد أن يتذكر منزلة الدنيا والآخرة على نحو ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النساء: ٧٧]، ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[التوبة: ٣٨]، ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر: ٣٩]. وغير ذلك من الآيات الكريمات،

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

نعم المال الصالح للرجل الصالح

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم؛ فكم خصكم بنعمة، وأزال عنكم نقمة، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، فإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس:

إن المتتبع لتعاليم الإسلام في القرآن والسنة يرى اعتبار المال الصالح قوام الحياة، والحث على تحصيله وحسن تدبيره وتثميره، بل لقد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد في مللهم، وعلى حفظ المال والنفس والعقل والعرض.

ومن المسلمات المعلومة بالضرورة، أن المال زينة الحياة الدنيا، وأنه مطلوب محبوب، وأن الإسلام لا يمنع طلبه عن طريق طيبه وحله، بل إنه يحرض على كسبه، وحسن التصرف فيه، لتقضى به الحقوق، وتؤدى الواجبات، وتصان الحرمات.

إن المال في الحقيقة، لا يطلب لذاته في هذه الدنيا، وإنما يطلب عادة، لما يضمنه من مصالح، ولما يحققه من منافع، إنه في حد ذاته وسيلة لا غاية، والوسيلة عادة تحمد أو تعاب بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة وآثار سيئة، فالمال كالسلاح، إن كان في يد مجرم قتل به الأبرياء، وإن كان في يد مجاهد مناضل دافع به عن دينه ونفسه وأهله ووطنه، وقد قال تعالى عن المال، وما يسوقه من خير أو شر: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ [الليل: ٥-١١].

وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وما أسعد المسلم، حين تعتدل أمامه مسالك الحياة، فيعمل ويتصبب منه عرقه، فيزكيه ذلك العرق ويطهره من فضلات الكسل وجمود النفس، ويكسب الكسب الحلال الطيب، وتستقيم يده، وهي تنفق من هذا الكسب الكريم، ويدخر لنفسه، ما يحتاج إليه في غده. قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: « **إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** » [متفق عليه]، وقال ﷺ: « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت** » رواه أحمد ومسلم بنحوه.

أيها الناس:

نعق كذا ناعق فزعموا بحماقة وصفاقة أن الإسلام لا يريد من أهله إلا أن يكونوا فقراء صاغرين، ويقولون ضالين إن الله إذا أعطى الدنيا لأحد حرمه من الآخرة، ويستشهدون بقول القائل:

إن الفقيه هو الفقير وإنما   راء الفقير تجمعت أطرافها

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

والواقع أيها المسلمون أن تلك فرية عظيمة، تنسب إلى الإسلام وهو منها براء، بل إن الإسلام هو الذي يحرض على الكسب والنشاط، ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فالمؤمن ليس درويشًا في معتكفه، أو راهبًا في ديره. لا عمل له ولا كسب، الإسلام لا يعرف المؤمن إلا كادحًا عاملاً، مؤديًا دوره في الحياة، آخذًا منها معطيًا لها ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن

﴿رِزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

وقد رأى الفاروق رضي الله عنه قومًا قابعين في ركن المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله، فعلاهم عمر بدرته ونهرهم وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وإن الله يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وإن كان الفاروق رضي الله عنه، يشكو من متوكلين لا يعملون، ففي حياتنا المعاصرة نشكوا من الأمرين معًا، من متوكلين لا يعملون، ومن عاملين لا يتوكلون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس، فأنزل الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال محمد بن نور: كان سفيان الثوري يمر بنا ونحن جلوس بالمسجد الحرام، فيقول: ما يجلسكم؟ قلنا: فما نصنع؟ قال: اطلبوا من فضل الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

وسأل رجل أحمد بن حنبل فقال: أيخرج أحدنا إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً؟ قال: لا يعجبني فمن أين يأكل؟ قال: يتوكل فيعطيه الناس، قال: فإذا لم يعطوه أليس يتشرف حتى يعطوه؟ لا يعجبني هذا، لم يبلغني أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ والتابعين فعل هذا، ولكن يعمل ويطلب ويتحرى.

قال رسول الله ﷺ : « **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا** » رواه أحمدوالترمذي وهو صحيح.

وهذا الحديث أخطأ القعدة في فهمه، فإن الطيور لم يأتها رزقها رغدًا إلى أوكارها، وهي قابعة في أعشاشها، وإنما غدت في الصباح سعيًا في طلبه، فراحت في المساء وقد شبعت من رزق الله تعالى وفضله.

أيها المسلمون:

إن من المتحتم عقلاً أنه لا يدعو المسلمين إلى المسكنة والإفتقار والاتكال في القوت على الغير، أو يصف الإسلام بالحض على ذلك إلا أحد اثنين؛ إما جاهل بالدين الحنيف يحسبه رهبانية مبتدعة، أو تبتلاً مسرفًا، وإما مخادع ماكر له في تلك الدعوة مآرب خبيثة، فهو مطعون النصيحة، خبيث الغاية، كيف لا، ورسول الله ﷺ يقول: « **تعوذوا بالله من الفقر والقلة، والذلة** »[رواه أحمد] ، ويقول ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر** » [رواه أحمد وغيره].

إن الشيطان بحيله ومكره يخوف المؤمنين من كسب المال، فينفر طالب الآخرة منه، ويبادر التائب يخرج ما في يده، فإذا أخرجوا ما بأيديهم بذلوا أول السلع في التحصيل، دينهم وعرضهم. ويصيرون متمندلين به، ويقفون في مقام اليد السفلى التي هي الدون، والعاقل من الناس من يسعى لكسب ماله وحفظ ما معه، لينجو من مداراة غني ظالم، أو مداهنة بطر جاهل. وقد تعرض نوائب كالمرض يحتاج فيها إلى شيء من المال فلا يجد الإنسان بدًا من الاضطراب في طلبته، فيبذل عرضه أو دينه.

إن الإسلام، يريد من أهله أن يكونوا أغنياء أقوياء، لا مهازيل ضعفاء،

أغنياء بمالهم ليكون سياجًا للدين، ومددًا لتسليحه وحمايته، فقد قال تعالى في قيمة المال، لإحراز النصر ورفع الشأن: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦].

فإن الأمم تنتصر بعد توفيق الله، بالمال والبنين، ويوم يكون مالها أداة ترف، ومصدر استعلاء وطغيان، ويوم يكون به الأغنياء أحلاس لهو ولعب؛ فالويل والخسران لأمة، أورثها مالها هذه الحال. أعاذنا الله وإياكم من حال أهل النار.

أيها المسلمون:

بالمال الحلال، استطاع المهاجرون إلى المدينة أن يزاحموا اقتصاد أهل الكتاب، وأن يجعلوا المال مالاً إسلاميًا، وهذا بحد ذاته له خطورته الظاهرة في كسب النصر للدين نفسه، فإن الإقتصاد في الأمم يوم تعبث به أيادي من لا ملة لهم ولا شرف؛ فإنهم يسخرونه ولا شك في ضرب الملة السمحة؛ ولذلك كان الإسلام شديد الحض على أن ينطلق المؤمنون في المشارق والمغارب يكسبون رزقهم ويطلبون من فضل الله، في فجاجة العميقة، هنا وهناك، أو المخبوءة تحت طباق الثرى﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠].

إن المتبطلين العاطلين، المكتسبين البطالة بالزمالة، يعتمدون على من سواهم، ويستغلون عرق غيرهم، فهم كدود العلق الذي يمتص الدماء، يحملقون إلى مواضع المحسنين، قد قضوا على أنفسهم أن يعيشوا مرضى بالصحة، مشغولين بالفراغ، أغنياء بالفقر، ولقد قال المصطفى ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»[رواه البخاري ومسلم].

قال ابن قتيبة رحمه الله: اليد العليا هي المعطية، فالعجب عندي، من

قوم يقولون هي الآخذة ، ولا أرى هؤلاء القوم، إلا قومًا استطابوا السؤال، فهم يحتجون للدناءة، فأما الشرائع فإنها بريئة من حالهم .

عباد الله:

لما فقد المال الصالح، من يد الرجل الصالح بليت المجتمعات - إلا من رحم الله - بطائفتين منحرفتين :

الأولى منهما : هي طائفة الأثرياء المترفين، الذين ضعف عند بعضهم الخلق والدين، واستخفوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام، يأكلون كما تأكل الأنعام ويشربون شرب الهيم، دون أن يؤدوا واجبًا لدينهم أو مجتمعهم، يتعاملون في الشرف على أصول من المعدة، لا من الروح، وإذا عظموا الدينار والدرهم فإنما عظموا النفاق والطمع والكذب، إذ إن حرصهم فوق بصيرتهم، ولهم في النفوس رائحة الخبز، ديدنهم في مقاييس البشر : خمس وخمس تساوي عشرة، وسجاياهم المتكررة، منع وهات؛ بل هات وهات، لكنهم مع ذلك لا يجدون في المال معنى الغنى، إذ كم من غني يجد وكأنه لم يجد إلا عكس ما كان يجد .

والطائفة الثانية : طائفة المفلسين القعدة الذين استمرأوا الكسل والبطالة والتشرد، دون مال يملكونه، أو عمل يؤدونه، ومع ذلك يطلقون لأنفسهم العنان في مباءات من الانحلال والمعاصي، فيجمعون بين السوأتين؛ ضلال وإفلاس قبيحين .

إن الذين يكسلون ولا يربحون ثم يتسولون أو يحتالون باسم التكسب أو العيش، ليسوا على سواء الطريق، والذين يحبون المال حبًا جماً، حتى يعميهم عن دينهم وأخلاقهم وخلواتهم القلبية وجلواتهم الروحية، ليسوا على سواء الطريق أيضًا، إذ كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وخير الأمور

الوسط، والوسط ما قاله رسول الهدى ﷺ: « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** »[رواه أحمد].

فرحم الله عبدًا كسب فتطهر، واقتصد فاعتدل، وذكر ربه ولم ينس نصيبه من الدنيا. ويا خيبة من طغى ماله عليه، وأضاع دينه وكرامته، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة: ١١].

عباد الله:

إن المال غاد ورائح، ومقبل ومدبر، وما هو إلا وسيلة للإنفاق والبذل، كما قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى** »
[رواه البخاري ومسلم].

ولا يليق بالرجل القادر، أن يرضى لنفسه، أن يكون حملاً على كاهل المجتمع، ثقيلاً مرذولاً، وأن يقعد فارغًا من غير شغل، أو أن يشتغل بما لا يعنيه، إن هذا لمن سفه الرأي، وسذاجة العقل، والجهل بآداب الإسلام، قال عمر رضي الله عنه: « إني أرى الرجل فيعجبني شكله، فإذا سألت عنه فقيل لي: لا عمل له، سقط من عيني».

إن العمل، مهما كان حقيراً فهو خير من البطالة، وخير من سؤال أحد من ذوي المال؛ إن أعطاه فقد حمل ثقل المنة مع ذلك السؤال، وإن منعه فقد باء بذل الخيبة مع ذل السؤال والعز بلا سؤال، ألذ من كل لذة بسؤال، والخروج عن ربقة المنن ولو بسف التراب أفضل، وإن نفس الحر لتحتمل الظما، حتى لقد قال الفاروق رضي الله عنه: « مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس ».

ولقد قال لقمان لابنه: « يا بني: استغن بالكسب الحلال، فإنه ما افتقر

أحد إلا أصابته إحدى ثلاث خصال: رقة في دينه، أو ضعف في عقله، أو وهاء في مروءته وأعظم من هذا، استخفاف الناس به ».

ولا خير في نيل من ماله عزيز النوال بذل السؤال.

وصلوات الله على المبعوث رحمةً للعالمين حيث يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال**» [أخرجه النسائي وأبو داود] « **اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع** » [أخرجه النسائى وأبو داود].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الإسلام رغب في العمل والكسب الحلال، والاتجار في جمع المال؛ فقد سئل رسول الله ﷺ : أي الكسب أفضل قال: « **عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور** » رواه الطبراني وهو صحيح وقال ﷺ : « **ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله**

داود كان يأكل مـن عمل يده » رواه البخاري. وثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم أنه قال: « **كان زكريا عليه السلام نجاراً** ».

وروى الترمذي وابن ماجة بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: « **التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء** ».

ومـر رجل على النبي ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ مـن جلـده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: « **إن كان خـرج يسعى على ولده صـغاراً فهـو في سبـيل الله، وإن كان خرج يسـعى على أبوين شيخين كـبيرين فهـو في سبيل الله، وإن كـان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان**» رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه أتجر قريش، وكان الفاروق رضي الله عنه يقول: «يا أيها الناس كتب عليكم أن يأخذ أحدكم ماله فيبتغي فيه من فضل الله عز وجل، فإن فيه العبادة والتصديق، وأيم الله، لأن أموت في شعبتي رحلي، وأنا أبتغي بمالي في الأرض من فضل الله، أحب إلي من أموت على فراشي».

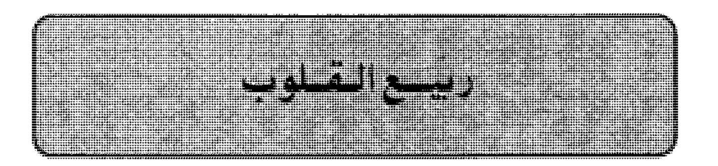
وما قتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه حتى بلغت غلة نخله مائة ألف. وقال عبد الرحمن بن عوف: «يا حبذا المال، أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي».

ثم اعلموا رحمكم الله: أن البطالة من أخطر المشاكل الاجتماعية وأسوئها عاقبة، وأشدها تأثيراً على طمأنينة الحياة وهناءة العيش، وهي رقية التسول والسرقة والغش والخداع.

والإسلام، نظر إلى المكلف نظر اعتبار، حيث دعاه إلى نزول ميادين العمل على أنواعها، إما مأجوراً، أو حراً مستقلاً، أو مشاركاً في المال إن استطاع. فإذا صاحب ذلك كله، صدق وأمانة، وإخلاص وتوكل، كان له النجاح والربح والبركة والنماء بإذن الله.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وسيد البشرية.

* * *



الخطبة الأولى

الحـمـد لله هـادي العبـاد، الرقـيب على خلقـه، يعلم خـائنة الأعين ومـا تخفي الصدور، أحمده سبحانه حمد عبد وخافه رجاه، وأشكره، والشكر واجب على العبد لمولاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له في جـلاله وكمـاله وعـلاه، وأشـهـد أن مـحـمـدًا عبـده ورسوله، صـفـوة الخلق، وأفـضل الهـداة إلى صراط الله، صلى الله وسلم وبارك عليـه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على طريقه واتبع هداه.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلغ، ومعاد مُنجح، دعا إليها أسمعُ داع، استجاب لها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

أيها الناس:

يقـول جـل وعـلا، أمرًا نبيـه ﷺ : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ويقول تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]، ويقول تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ويقول عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

عباد الله:

لئن كان شهر رمضان المبارك شهر صيام وصدقة وجود و قيام؛ فإنه كذلك شهر القرآن والفرقان ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

أنزل الله القرآن، نورًا لا تطفأ مصابيحه، وسراجًا لا يخبو توقده، ومنهاجًا لا يضل نهجه، وعزًا لا يهزم أنصاره، فهو معدن الإيمان، وينبوع العلم، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، جعله الله ريًا لعطش العلماء، وربيعًا لقلوب الفقهاء، ودواء ليس بعده داء، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، هو الحق ليس بالهزل، بالحق أنزله الله، وبالحق نزل، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، من طلب الهدى منه أعزه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أذله الله، يرفع الله به أقوامًا ويضع آخرين، ويأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، قال عنه المصطفى ﷺ: « **من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف** »[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

أيها الناس:

إن كتاب الله عز وجل بمثابة الروح للحياة والنور للهداية، فمن لم يقرأه ويعمل به فما هو بحي وإن تكلم أو عمل أو غدا أو راح؛ بل هو ميت، ومن لم يؤمن به ضل وما اهتدى، وإن طار في السماء أو غاص في الماء ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إن الإنسان بلا قرآن كالحياة بلا ماء ولا هواء، بل إن الإفلاس متحقق في حسه ونفسه، ذلك أن القرآن هو الدواء والشفاء ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

شفاء للقلوب والأبدان. شفاء للمرء وأنيس، كلما ضاقت أمامه مسالك الحياة وشعابها، وافتقد الرائد عند الحيرة، والنور عند الظلمة، يجد القرآن، خير جليس لا يمل حديثه، وترداده يزداد فيه تجملاً وبهاء، وبه تنضبط النفس المترددة أمام الزوابع والأعاصير، فلا تغرق في لجة المهالك، ولربما ضاقت بالمرء الضوائق، ومارت في وجدانه المخاوف، ويشده ألمه، فلا يجد إلا أن ينشد راحته في بضع آيات من القرآن يرددها ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩].

يقرأ المسلم القرآن، فإذا بالسكينة والطمأنينة، يعمران قلبه وجوارحه، ثم

تقدم النفس بعد ذلك لا تبالي ما يحدث لها وهي تقرأ قول ربها: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١].

وبذلك تتبخر وساوس السوء، ووساوس الضعف، ويظهر للنفس أن الإنسان مبتلى بالأوهام أكثر مما يبتلى بالحقائق، وينهزم من داخل نفسه قبل أن تهزمه وقائع الحياة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

عباد الله:

لا يعرف مظلوم تواطأ الناس على ظلمه وزهدوا في إنصافه كالقرآن، فلله ما أقل عارفيه، وإن أحدنا لو ذهب يبحث عن العاملين بما فيه بحق وصدق في أغلب ما يرى ويسمع، لأعياه طلابه.

اتخذ الناس هذا القرآن مهجوراً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ صحف ومجلات، وحكايات وثقافات، تموج بها الدنيا صباح مساء ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [يونس: ٣٦].

إن المرء المسلم ليعجب، من مواقف كثير من الناس أمام كتاب الله تعالى، وقد أحاط بهم الظلام من كل جانب، فيتخبطون فيه خبط العشراء، أفلست النظم، وتحطمت كثير من المجتمعات، وتدهورت القوميات والعالميات، وأنتنت الحريات اللادينية المزعومة، فالعجب كل العجب، أن يكون النور بين أيديهم، ثم هم يلحقون بركاب الأمم الكافرة في كل نهج ومسلك، فلا يستطيعون سبيلاً إلى الهداية.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما　　　والماء فوق ظهورها محمول

والواقع أيها المسلمون: أن أهل الكفر والإلحاد أشغلوا المسلمين عن نورهم وأبعدوهم عن مصدر العزة، وأغروهم بطيف أنوار زعموها في السياسة تارة، وفي العلوم الدنيوية أخرى، وثالثة في المال والقهر والجبروت، ورابعة في الغزو الأخلاقي والثقافي، المترجم عبر وسائل متناثرة تتلقفها أقطار المسلمين ومجتمعاتهم إلا من رحم الله.

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

لقد قصر جمع من المسلمين مع كتاب ربهم، حتى إن الواحد منهم ليختم القرآن كله ثم يخرج منه بمثل ما دخل فيه ما فهم من معانيه شيئًا.

ولقد قصر جمع من المسلمين مع القرآن، حتى قصروا برهم به على أن تتقن مخارج حروفه فحسب، وتفتتح به البرامج وتغلق، معقوبًا بصخب وعطب، من أغان ماجنة، ومشاهد مضللة، ويردد في المآتم، ويعلق في المجالس، ويسأل به المال والجاه، ويعلق تميمة على الرقاب، أو يلصق بالصدور.

قال الفاروق رضي الله عنه: «يا أيها الناس إنه أتى علي حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن، إنه إنما يريد به الله وما عنده، ألا وقد قيل لي إن أقوامًا يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم» أهـ.

فلله كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه، وكم من ظالم أفاك، متجبر يقرأ القرآن فيلعن نفسه ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨].

﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

أيها المسلمون:

ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده؛ وأقرب إلى نجاته وسعادته، من تدبر القرآن وإطالة النظر فيه وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معاني الخير والشر، وعلى حال أهلها، وتريه صورة الدنيا في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، فيرى غرق قوم نوح، ويعلم صاعقة عاد وثمود، ويعرف غرق فرعون وخسف قارون، بتدبر القرآن، يعيش المرء مع الآخرة حتى كأنه فيها، ويغيب عن الدنيا حتى كأنه خارج عنها. فيصير في شأن والناس في شأن آخر ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

لقد أنزل الله القرآن من فوق سبع سموات للتدبر والتعقل، لا لمجرد تلاوته والقلب لاه غافل ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

قال الحسن البصري رحمه الله: أنزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً.

عباد الله:

يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ

وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن».

فما بال قلوبنا يا عباد الله!! ما هذه القسوة عند تلاوة كلام الله؟! ما هذه الأقفال التي على القلوب؟ مواعظ تتلى، وعبر تسمع، وسور تقرأ، ولكنها تدخل من اليمنى وتخرج من اليسرى. من منا بكى عند قراءة الحاقة، ومن ارتجف حين سمع الزلزلة؛ ومن تاب يوم أن قرأ القيامة، ما هذا الران الذي على القلوب، أفقدَّت قلوبنا من حجر؟! أما إنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع وتصدع من خشية الله. ولكن قست القلوب ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]. أعاذنا الله وإياكم من القسوة والغفلة.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وسائقًا ودليلاً إليك وإلى جناتك جنات النعيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، يقول الله جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأيم الله، لقد كان خوف المصطفي ﷺ، وخشوعه وبكاؤه عند قراءة القرآن لا يوصف ولا يجاري؛ فقد صح عنه ﷺ، أنه كان يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء [رواه أبو داود والترمذي].

وثبت عند الترمذي والحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي، أنه ﷺ قال: «**شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت**».

وقد قرأ عليه ابن مسعود رضي الله عنه سورة النساء فلما بلغ قول الله: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ٤١]. قال: حسبك **الآن**.فإذا عيناه تذرفان. [متفق عليه]. بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد قال مرة لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة ذريني أتعبد لربي**»، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك: قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت

حقويه، قالت: ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره، قالت ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض، فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الفجر وقال ما يبكيك ؟ قال: **لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن يقرؤها ولم يتفكر فيها** ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. [رواه ابن حبان بإسناد جيد].

وكان أبو بكر الصديق رجلاً أسيفًا لا يستطيع القراءة من كثرة البكاء، وقد خرج الفاروق رضي الله عنه ليلة يعس، فسمع قارئًا يقرأ: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور: ١-٨]، فقال رضي الله عنه: « قسم حق ورب الكعبة» وخر مغشيًا عليه فحمل إلى بيته وبقي مريضًا ثلاثين يومًا يعوده الناس.

بل إن القرآن أيها المسلمون، كان يصل إلى قلوب الكافرين وهم أبعد خلق الله عن الله وعن كتاب الله، فهذا عتبة بن ربيعة، وهو من المشركين، استمع إلى قراءة النبي ﷺ من سورة فصلت، فلما قام عتبة إلى أصحابه قال بعضهم لبعض: نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. ثم قال لهم: قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة.

وما كان من النجاشي وقومه حين سمعوا سورة مريم، يقرؤها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أن فاضت أعينهم من الدمع، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣].

الله أكبر. هذا كلام رب البشر، أدهش العقول، وأبكى العيون، وأحيا القلوب والأفئدة، وطأطأت له رؤوس أهل الكفر، بل لقد أدهش الجن وحرك ألبابهم، حين سمعوه من المصطفى ﷺ، وكادوا يكونون عليه لبدًا ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢].

أيها المسلمون:

ذلكم هو واقع القرآن مع الناس، مؤمنهم وكافرهم، وكذا مع جنهم.

وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، ومع هذا قلت العيون التي تدمع، والقلوب التي تخشع، عيون خلت من الدمع، فهي خراب بلقع، تتلى آيات الله، فلا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الكبير منا يلتحق بالصفوة، ولقد فرطنا في كتاب ربنا في الخلوة والجلوة.. وصار بيننا وبين الصفاء، أبعد ما بين الصفا والمروة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

وافق شن طبقه
(في التشبه بالكفار)

الخطبة الأولى

الحمد لله، أمر بالتحلي بالفضائل، ونهى عن الوقوع في مهاوي النقائص والرذائل، لا إله إلا هو العليم الحكيم ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

نشكره تعالى ميز لنا القبيح من الحسن، ونلجأ إليه سبحانه مما نزل بنا من البلايا والفتن، ونعوذ بالله من التقليد والتشبه في سيئ الأخلاق وقبائح البدع والعادات، وأشهد أن لا إله إلا الله، هدانا بالإسلام إلى خير وسائل السعادة، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، فتح الله لنا بسنته أبواب الرقي والسعادة، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، أولي الرأي والفكر والنجابة، وعلى من سار على طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم القيامة.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السراء والضراء، وفي الخلوات والجلوات، اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.

أيها الناس:

إن الناظر المتأمل، في تاريخ الأمم والشعوب، ليعجب أشد العجب، ولتأخذه الحيرة أخذًا مسرعًا، لما يظهر له مما يطرأ على الأمم والشعوب، من التغيرات والتقلبات، أمة قائدة رائدة، دهوراً مديدة من الزمن، تعثر ركابها فسقطت رايتها، فإذا هي في مهاوي التقليد الأعمى، تتبع آثار الأمم سواها في كل نهج وسلوك، بينما هي أمة في أعلى مراقي الحياة، وأوج العزة والقوة، إذا هي تتدهده في الحضيض الأوهد، والشقاء المؤصد، تموت بعد حياة، وتسفل بعد علو، وتذبل بعد إزهار.

كانت قد وردت مناهل هذا العلم، وتلك الحضارة الإسلامية البريئة، فصدروا عنها بملء سجلهم، وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم، إلى أن خرج عنهم المفتاح فكأن الباب أغلق دونهم، وظهر من مشكاة الغرب مصابيح محرقة، فكأنما حيل بينهم وبين مصدر الرفعة الأسبق، وتسلط على عضدهم لسان من يعرف « من أين تؤكل الكتف ». فأخذ المسلمون عنهم رسومًا هي من حضارتهم مسترقة، وعلقوا أشنانهم بطبقاتهم، فوافق شن طبقه، فيا لها من غنيمة باردة، لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب، ولم يزحف إليها بعدو عيدية، ولا بلحاق لاحق، وانسكاب سكاب[1].

أيها المسلمون:

المقلد المحاكي لأهل الكفر والشرك إنما هو أذن وعين ولسان وقلم لنهجهم وفكرهم، يصلح بإفساد، ويداوي الحمى بالطاعون، فهو كغاسل الحيض ببول أغيرا ويعمل بتبعيته المهزومة ما يشبه قطع ثدى الأم، وهو في

(١) لاحق وسكاب فرسان للعرب مشهوران، والعيدية هي النوق النجائب، منسوبة إلى بني العيد.

شفتي رضيعها المحضون. وما علم هذا الغر وأمثاله أن التقليد الأعمى للغرب، فيه ألغام مخبوءة، وأن حقوقنا ومروءاتنا مقتولة بتقليد أعمى، وغرور بليد.

أيها المسلمون:

قال رسول الله ﷺ: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه،** قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ »[رواه البخاري ومسلم].

وللبخاري عنه ﷺ أنه قال: « **لا تقوم الساعة،حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبراً بشبر وذراعًا بذراع،** قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: **ومن الناس إلا أولئك** ».

فأخبر ﷺ أنه سيكون في أمته، مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم.

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ ﴾ [التوبة: ٦٩].

قال ابن عباس رضي الله عنه: « ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: « أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟ ».

عباد الله:

لقد كان النبي ﷺ ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة؛ بل قد تواتر عنه ﷺ أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة.

فالمسلمون هم أهدى الناس طريقًا، وأقومهم سبيلاً، وأرشدهم سلوكًا في هذه الحياة. وقد أقامهم الله تعالى مقام الشهادة على الأمم كلها ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإن هذا المقام، مقام عزيز كريم، كيف يتناسب معه أن يكون المسلمون أتباعًا لغيرهم من كل ناعق، يقلدونهم في عاداتهم، ويحاكونهم في أعيادهم وتقاليدهم، ورسول الله ﷺ نهى المسلمين جميعًا أن يتلقوا عن أهل الكتاب، فعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، فغضب وقال: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**» رواه أحمد وابن أبي شيبة.

إن الله تعالى، جبل بني آدم، بل وسائر المخلوقات، على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر، كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى ألا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، ولأجل هذا الأصل، وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، بل إن الآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه؛ ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل

الإبل، وصارت السكينة والوقار في أهل الغنم، وصار الجمَّالون والبغَّالون، فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس، من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

وإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم؛ لأن المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة، على وجه المسارقة والتدرج الخفي، وهذا ما يشهد به الواقع، فضلاً عن بيان الشرع وموافقة العقل، وقديماً قيل: « الطيور على أشكالها تقع »، وهذا مثل صحيح، يوافق سنة الله في خلقه، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: « **من تشبه بقوم فهو منهم** »[رواه أحمد وأبو داود].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد رأينا اليهود والنصارى، الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرد الإسلام.

عباد الله:

إن التشبه بأهل الكفر والشرك في أزيائهم، وعاداتهم، وأحكامهم، وسياساتهم، واقتصادهم، قد جرى في كثير من أوساط المسلمين جريان الدم في العروق، وسرى سريان النار في يابس الحطب، بل ولربما صار المتفرنج المحاكي موضع إجلال الدهماء وإكبارهم، يحتذيه لهازم الناس وأغرارهم، حتى يساير ذلك كله الغوغاء من أبناء هذه الأيام، مترفهم ومثقفهم، بل وحتى من كان على فراش الإملاق منهم. أف للتقليد والتبعية، ما أثقل أغلالهما، وما أشد عتمة مسالكهما، وما أبخس صفقة الذين لا يتزحزحون عنها.

نعم، أف ثم أف، للتقليد ومسايرات الغرب، فكم أوقفت بعض الأجيال في سجون ضيقة مظلمة، من التبعية الماحقة، وحجبت عنهم أنواع التفكر والتبصر والعزة، وغممت عليهم مطالع السعادة الحقيقية للنفوس.

أف ثم أف، للتقليد والتبعيات، فهي قاطعة الطريق على نتائج العقول، تزج بها في مهاوي العدم، أو تذرها في سجن أقفر، ممنوعًا عنها كل ما يحييها.

إن الأمة المسلمة يجب أن تكون متبوعة لا تابعة، وقائدة لا منقادة، ويجب ألا تغتر بما تراه من زخرف الحياة في أمة تقطعت روابطها، وانفصمت عراها ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

وإن حضارة الغرب، كالسراب، الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد، كأنه بحر طام ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

ألا فليعلم الضعفاء والمغفلون منا، الذين يحاولون في تبعيتهم أن يؤلفوا الأمة على خلق جديد، ينتزعونه من المدنية الغربية، ألا فليعلموا أن الخلق الطارئ لا يرسخ بمقدار ما يفسد من الأخلاق الراسخة، وإذا كان البعض يشعر في قرارة نفسه أنه لابد للأمة في نهضتها من أن تتغير، فإن رجوعنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، أعظم ما يصلح لنا من التغير، وما نصلح به منه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

إننا إذا أخذنا في أسباب القوة، وتمثلت فينا الأخلاق المتينة، من الإرادة

والتقوى والإقدام، والحمية الإسلامية، وإذا جعلنا لنا صبغة خاصة تميزنا عن سوانا، وتدل على أننا أهل دين وخلق - إذا كان ذلك كله، فلعمر الله، أي ضير في ذلك كله، وهل تلك إلا الأخلاق الإسلامية الحقة، وهل في الأرض نهضة ثابتة تقوم على غيرها، ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨] . ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وأما أن نأخذ من الغرب الكافر عادات وطبائع أجنبية عن ديننا، فلنتذكر أن الإسلام إسلام، وأن الكفر كفر، وأن القوم في نصف الأرض، ونحن في نصفها الآخر، ولقد كنا سادة قبل أن كانت هذه العادات الغربية التي رأينا فيها ومن أثرها في المجتمعات المسلمة الحرة ما أفسد رجولة بعض رجالها وأنوثة بعض نسائها خاصة، لأنهن يندفعن اندفاعًا محمومًا وراء المجهول، في حلبة التقليد الأعمى، لقد راعهن من الغرب بريق مصانعه وطرافة منتجاته، فرضين بالسير وراء الهابطات من نسائه، حتى أصبحن لا يرضين عن أثوابهن إلا بمقدار انطباقها على نماذجهن، الواردات في أزياء نساء الغرب وأشباههن، فإذا رأيت ثوب إحداهن كاسيًا يستر بعض العورة، فاعلم أنه صورة من ذلك النموذج الجديد. قال عنهن المصطفى ﷺ: « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب ذي اللب من إحداكن** »[رواه البخاري ومسلم].

ولما أنشده الأعشى أبياته التي يقول فيها: « وهن شر غالب لمن غلب » جعل النبي ﷺ يرددها ويقول: « **وهن شر غالب لمن غلب** » [رواه أحمد]. ولذلك امتن الله على زكريا عليه السلام حيث قال:

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

أيها المسلمون:

إن القيود التي يفرضها الدين على الإنسان، لا يريد بها عذابه ولا حرمانه، إنما يريد بها أن يرتفع بها من الحيوانية الهابطة، إلى الإنسانية الصاعدة، وبذلك ينتصر المسلم على التبعية التحررية، ويتغلب الإيمان والتقوى على الشهوة البهيمية السبعية ،وإن كل مجتمع يخرج على هذه القيود أو يهون من شأنها، فإنه يعرض نفسه للخطر ويقرب بها من حافة الهاوية ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور ما أحدث على غير هدى من الله، أو سنة سنها محمد بن عبد الله، فلقد نهى -بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه- عن كل ما يفضي إلى مشابهة الكفار، حتى لقد قال اليهود عنه: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه»[رواه مسلم].

وقد نهى ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه «عن الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، ونهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعلل ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار».

ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها؛ ومع ذلك فقد نهى عن الصلاة في هذا الوقت، حسمًا لمادة المشابهة بكل طريق.

وعليه فمشابهة أهل الكتاب والكفار من الأعاجم ونحوهم لابد أن تورث عند المسلم نوع مودة لهم، أو هي على الأقل مظنة المودة، فتكون

محرمة من هذا الوجه، سداً للذريعة، وحسماً لمادة حب الكافرين، والولاء لهم، فضلاً عن كونها محرمة من وجوه أخرى، بالنصوص الشرعية الواردة وغيرها.

وإننا لندرك بوضوح أن فئاماً ممن يتشبهون بالكفار، في لباسهم أو سلوكهم أو عاداتهم، أو يتكلمون بلغتهم، أنهم تميل نفوسهم إلى حبهم وتقديرهم والإعجاب بهم ومن هنا ينجح أهل الكفر، في أن يروجوا بين المسلمين دعوات مدوية يكون لها رجع الصدى في بعض النفوس المريضة إلى حضارات عالمية، وزمالات أديان، تهدف إلى إذابة الشخصية الإسلامية، حتى إن المتنكر لهم، يسمى انعزاليًا وانطوائيًا، بل ورجعيًا ضيق الأفق، معزولاً عن العالم، يجب أن يموت في مهده زعموا.

فما المانع عندهم إذن من أن تصلصل النواقيس، بجانب المآذن المدوية الله أكبر، وما المانع عندهم أن تتعانق الأديان على أرض جزيرة العرب، ناسين أو متناسين قول المصطفى ﷺ: « **لا يجتمع في جزيرة العرب دينان** »[رواه مالك وأحمد بنحوه].

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *



الفهرس

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

